رؤيــــة نــقــديــــة

في

القصة القصيرة والرواية

إبراهيم سعفان

المؤلف : إبراهيم سعفان
الكتاب : رؤية نقدية
في القصة القصيرة والرواية
الناشر : نادى القصة
الطبعة الأولى : ٢٠٠٦

نادى القصة
٦٨ شارع قصر العينى - القاهرة
ت : ٧٩٤١٩٢٩

الإهداء

إلى زوجتى الغالية
أسبغ الله عليها الصحة والعافية
وأمد فى عمرها وبارك فيها

القصة القصيرة فى السعودية

حقق الإبداع القصصى السعودى الآن تقدماً كبيراً ، بحيث أصبح من الخطابات الإبداعية المهمة ؛ بما أضافه من تجديد فى المضمون وفى الشكل على يد أجياله الثلاثة بعد جيل الإرهاصات كما يقول حسين المناصرة . « جيل السبعينات : محمد علوان ، حسن على حسين ، عبد العزيز مشرى ، محمد الشقحاء ، محد على قدس وخليل الفزيع . جيل الثمانينات : صالح الأشقر ، سعد الدوسرى ، جار الله الحميد ، عبده خال ، شريفة الشملان ، فهد العتيق ، وخالد اليوسف ، وجيل التسعينات : محمود تراورى ، بدرية البشر ، أميمة الخميس ، عبد الحفيظ الشمرى ويوسف المحيميد » .

ويمكن القول إن جيل التسعينات جيل الصواريخ والإلكترونيات ، والتقدم التكنولوجى الهائل . قد تحمل مسؤولية التجريب ليواكب إيقاع العصر السريع ، فخاض غمار التجريب ليتخطى تراثه القصصى السابق . وليكون شاهداً على العصر . ولذا فأى حكم عام على الجيل يعتبر غير موضوعى ؛ لأنه لم يأخذ الفترة الزمنية الكافية . ولذا فلسنا مع رأى سعد الدوسرى الذى ينفى التجريب عن جيل التسعينات - ندوة إشكاليات القصة المنشورة فى مجلة قوافل - العدد الخامس - السنة الثالثة ١٩٩٥م - الذى يقول « إن جيل السبعينات مثل محمد علوان ، وعبد العزيز المشرى ، وجار الله الحميد ، وعبد الله باخشوين وعبد الله السالم كان جيلا يؤسس لفتح طرائق جديدة للقصة

القصيرة ، خاصة في شبه الجزيرة .. أما فترة الثمانينات فقد صار هناك أسماء متعددة تبنت الموقف التجريبي وانتهى - على حد متابعتي - عند نهاية الثمانينات - وأنا شخصياً حسب متابعتي لم أر أسماً يستطيع أن يتبنى في موقعه جيل ما بعد الثمانينات ، إذ إنه يبدو لي أنه جيل الثمانينات بتوقف التجريب قليلاً في القصة القصيرة المحلية » (ص١١٤) .

وهذا الحكم على جيل التسعينات حكم عام ؛ لأن هذا سواء في السعودية أو في جميع البلاد العربية يتسم بالروح المتوثبة وبالتمرد اجتماعياً وسياسياً وفنياً ، إنه جيل يرفض التبعية حتى لا يكون نسخة مكررة من السابقين ويكفيه المحاولة ، فإن أصاب فله ثوابان ، إن اخطأ فله ثواب واحد .

وقد رد يوسف المحيميد على سعد الدوسري في الندوة نفسها مؤكداً دور جيل التسعينات في التجريب فيقول « أنا أعتقد أن الفصل الزمني بهذا الشكل فيه قسر غير صحي ، وغير دقيق تماماً . بالنسبة إلى جيل الثمانينات . هناك كتاب قصة كثيرون لا أود أن أحدّد الأسماء بدءوا في كتابة شكل قصصي تجريبي ، لكنهم توقفوا عند شكل محدد ، لذلك أعتقد أن مضى عشر سنوات أو خمس عشرة سنة على هذا الشكل الكتابي هو عمل غير تجريبي ، بينما على النقيض نجد كتابات سعد الدوسري ـ رغم أنه من كتاب جيل الثمانينات ـ تجربة ثرية متنوعة ، أيضاً عند كتاب التسعينات يمكن أن تجد كتاب قصة

كثيرين جداً يكتبون القصة بطريقة تقليدية جداً وغير تجريبية » (مجلة قوافل العدد الخامس ١٩٩٥) .

إن حركة التجريب لا تقف عند جيل معين ، لأن كل جيل يحاول أن يطور قدر استطاعته . وفق الظروف الاجتماعية والسياسية والعادات والتقاليد التى تفرض أحياناً قيوداً على المبدع لا يستطيع الفكاك منها . إن الأجيال لا ينقطع بعضها عن بعض ، ولكنها تتواصل وتتداخل ويؤثر بعضها فى بعض ، ولا يمكن فصل جيل عن جيل فصلا حاسماً .

لقد تجاوزت القصة فى السعودية ، بل الشعر والرواية أيضا مرحلة التأثير الخارجى ، وأصبح لهذا الإبداع خصوصيته واستقلاله من حيث الاستفادة من البيئة السعودية بصحرائها ، ومدنها ، وعاداتها مع محاولة الوصول إلى شكل فنى خاص يستفيد من التراث القصصى .

كما تجدر الإشارة إلى ظهور الصوت القصصى النسائى بشكل قوى وجرىء فى التجريب الفنى . وفى معالجة الموضوعات الاجتماعية مع عدم فقدان هذا الإبداع لشخصيته الأنثوية .

إن واقع القصة فى السعودية يبشر بمستقبل محمود على يد أبنائه المقدرين لمسئولياتهم الأدبية ، وقد بين ذلك الدكتور محمد بن سعد بن حسين فى حواره المنشور فى هذا العدد فقال « إن واقع الأدب السعودى ، واقع محمود ، محمود فى شكله ، ومحمود فى مضامينه أكثر ، وهذا لا يعنى أنه لم تظهر فيه بعض الآثار غير المستحبة ، كشىء من الاتجاهات غير المرغوب فيها .. الأدب السعودى قد

اكتملت جوانب شخصيته منذ أكثر من أربعين عاماً وبات مماثلاً للأدب فى الأقاليم العربية وإن امتاز عنها بسمة هى أجمل السمات ، وهى الالتزام الإسلامى ، وأما ما يتصل بآفاق هذا الأدب . أعنى الأدب السعودى ، فأنا متفائل جداً بالنسبة لمستقبله، لأسباب أهمها ، اهتمام الدولة بهذا الأدب وشواهد هذا الاهتمام كثيرة أدناها هذه الأندية المنبثة فى المؤسسات الحكومية بعامة ، والتعليمية منها بخاصة » .

ويمكن تحديد السمات العامة للقصة فى السعودية فيما يلى :

١ - الاهتمام باللغة والانتقال بها من المستوى التقريرى إلى المستوى الدلالى بما يحمله من إيحاءات .

٢ - معالجة القضايا الاجتماعية بجرأة ، والاهتمام بالتراث الشعبى لربط الشباب بتراثهم .

٣ - الاستفادة من الفنون الأخرى كالفنون التشكيلية ، والمسرح والسينما .

٤ - الجدية فى الكتابة لأنها مسئولية ورسالة ؛ ولذا يحرص الكتاب على نظافة الكلمة ، ونظافة المضمون .

٥ - الدخول فى التجريب دون شطط حرصاً من الكتاب على التواصل بينهم وبين المتلقى .

هذا الملف ما هو إلا محاولة لتقديم صورة من الإبداع القصصى فى السعودية ليكون بين يدى الدارسين ، ونرجو أن نكون قد وفقنا .

* * *

لقد مرت الجزائر ومازالت تمر منذ حرب التحرير الكبرى .. حرب المليون شهيد بأحداث سياسية واجتماعية وفكرية جعلت السلاح الجزائرى والكلمة الجزائرية مشرعتين للدفاع عن تراب الجزائر ، وحرية المواطن وكرامته ، وفى مثل هذه الظروف الصعبة لا يجد الكتاب إلا التمسك بالحب ، والإيمان فهما أقوى أسلحة المواجهة ، لأنهما الأساس الحقيقى فى بناء شخصية الإنسان الجزائرى بناء قوياً يحميه من الضعف والانكسار ويعطيه القدرة على المواجهة ، لهذا نجد الكتاب الجزائريين يولون الإنسان الجزائرى الاهتمام ليغرسوا فيه الحب لأن الحب حينئذ يكون قوة وطاقة ، وقد اتسمت مثلا أعمال عمار بلحسن - رحمه الله - بالحب لأنه وقود وطاقة محركة للثورة والنضال ، كما يقول عمار يزلى فى تقديمه لمجموعة « أصوات » « إنه بمثابة المصل أو الحقنة المقوية أو » الروم « الذى يزيد الجسد طاقة وحرارة ويبعث فى نفسه الشجاعة والقوة والبأس ، إن النضال لوحده عمل مجهض من البداية ، والحب بدون نضال حب ميت منذ البداية » ويتضح ذلك فى مجموعته القصصية « أصوات » التى يبحث فيها عن التطهر والانتصار على النفس .

وحرصاً من الكتاب على غرس الحب فى الإنسان الجزائرى نجد انزعاج بشير مفتى فى روايته « المراسيم والجنائز » من التشوهات النفسية ، والتباعد بين الأخوة الجزائريين فيقول « إننا جميعاً تشوهنا ، جميعاً أصبحنا مرضى بالدم والنفاق والمتاجرة .. جميعاً لصوص

وخونة ومجرمون بشكل ما .. جميعا متورطون فى الكراهية والضغينة جميعاً .. واحداً .. وحداً .. فرداً .. فرداً من دون استثناء . لهذا فلا معنى لكلمات العدل ، الحرية ، الديمقراطية ، الشرف ، القيمة ، الأخوة .. النضال .. الآن .. لا أظن .. لقد فات الوقت .. هل نمنا طويلاً .. أم كل ما حدث هو عجز عن فهم ووعى الأزمنة » .

فالإنسان الجزائرى هو المحور الأساسى ، والمكسب الحقيقى الذى يحرص الكتاب الجزائريون عليه ، للحفاظ عليه سليماً معافى وحمايته من الانهيار ، فينهار بذلك الوطن ، لذا اهتم الكتاب بغرس القيم الخلقية المستمدة من التعاليم الإسلامية ، وتقوية الجانب الإنسانى لتوطيد عرى التراحم والمحبة ، وقد تمثل ذلك فى جيل الثمانينات ، كما يقول بومرزوق زين الدين فى كتابه « مقاربة نقدية للقصة القصيرة الجزائرية المعاصرة » « النص القصصى ليس فقط الهدف منه تعرية الواقع وكشف الحقائق بصورة فنية متعددة ، ولكن الهدف أسمى من ذلك ويتعداه إلى توعية الوسط الاجتماعى وتحمل المسئولية للأفراد نواة مؤسسة اجتماعية أو سياسية » ، ويمكن تحقيق ذلك بتوفر عنصرين هما : الوعى الدينى والوعى التاريخى ، فالكتاب الجزائريون لم يفقدوا - رغم المحن التى يعايشونها - الثقة بالله ، والثقة فى الإنسان الجزائرى ، من هنا ظل نور الأمل يضىء نفوسهم فى مستقبل أفضل ، وفى قدرة الإنسان الجزائرى ، الذى انتصر فى حرب المليون شهيد على أعتى القوى الاستعمارية ، على تخطى ظروفه مهما كانت قاسية .

لهذا نجد أبطال قصصهم إيجابيين ، إنسانيين ، متحابين ، سواء

فى الأسرة الصغيرة ، أو فى الأسرة الكبيرة أى المجتمع ، وتصور ذلك زهور ونيسى فى قصة « حديقة الله » فبطل القصة الذى يعيش برجل ثالثة وواجه الموت أكثر من مرة ولكنه يخرج من كل عملية منتصراً على الموت « ظروفه أصبحت ملكاً له ، فى الوقت نفسه أصبح الآخرون ملكاً للظروف ، لقد ملك الحياة نفسها ، بعد أن صارعها كثيرا ، وصارعته عدة مرات ، اعتقد أنه سينتهى فوق طاولة العمليات الكثيرة التى أجراها له الطب يحدوه الأمل دوما فى الشفاء التام .. وفى كل مرة بإيمان أقوى بالله ، واستهانة أكثر بالحياة » (نماذج من القصة الجزائرية ص ٥٦) .

وتبلغ القصة قمتها فى قوة إرادة الأب فى مواجهة أزمته الصحية وفى إبراز الترابط الأسرى ، فالأبناء الثلاثة يحيطون بوالدهم وقبل أن يحرك رجليه كان أطفال ثلاثة فى عمر الأمل وفى قوة الحياة ، يحيطون بوالدهم يسندونه من كل جانب .. وكل واحد منهم يزقزق بلحنه .. دون أن يدور بخلده أن يوسعوا خطاهم ، أو يتجاوزوا والدهم التى بدت ثابته قوية رغم بطئها (نماذج من القصة الجزائرية المعاصرة ص ٦٠).

وفى قصة « وجهان لعذاب واحد » للأعراج واسينى نجد البطل أيضا متفائلا بالمستقبل فيقول « فى عينيك يسافر فرحى .. يعلن جهراً انتماءه إليك ، وللخبز .. والعرق .. ويعيد قراءة آخر شىء كتبناه ونحن فى قلب النار .. فى عينيك أسافر وألقى بنفسى حتى التهلكة ، ولا يهمنى البتة ، أن لاقيت حتفى . . فالوجه الثالث سيكون قمر .. ومعه تبدأ رحلة الثبات » « نماذج من القصة الجزائرية المعاصرة ص ١٧١) .

تتجلى إيجابية الإنسان الجزائرى فى مواجهته لمعركة التعريب حرصًا على شخصية الجزائر العربية ، وقد تبنى هذا الاتجاه ، كما يقول عيسى الطيبى فى مقاله المنشور فى العدد ١٨٩ من مجلة المنتدى بدبى « كتاب وأدباء الحركة الإصلاحية ، وكانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هى منبر النشء الأدبى الجديد » .

وبعد ....

بالإيمان والحب يحمى الإنسان وطنه ، والإنسان الجزائرى المعجون بالحب ، وقوة الإرادة وإيجابية الفعل ، والتحدى جعل الكتاب يصوغون ملحمته ، ويملأون قلبه حبا ونضالا ، وقد عبر عن ذلك عمار بلحسن - رحمه الله - فى قصة « آه تلك النجمة » « عجباً عيوننا رصاصات وتشكلنا مدافع وبدأنا نطلق على جبال الحديد القديم .. وما زالت المعركة تشتعل . فقط كانت عيون أمى تقول سننتصر .. وكان الحرف ينكتب بحب على جباه الكادحين ... وما زلت ساقطا بين جمرات تشتعل قرب مدن وبحار وحروف وينابيع حب .. بينما نجمة أنيقة مشعة، تومئ إلىّ ، تنده إلى ، وتناديني ، قاوم .. قاوم يا ابن الأرض » .

الأدب الجزائرى - حقيقة - يقوم بدوره النضالي الإيجابى ، تقديراً منه لرسالة الكلمة المقدسة فى الدفاع عن الحرية والحق والخير مهما كلف ذلك الأدباء من عناء .. إنه قدرهم وعليهم مواجهته بكل الحب والتضحية .

* * *

خصائص القصة
القصيرة الإسلامية

يلتـزم الأدب الإسـلامى بالرؤية الإسـلامـيـة وعـادات وتقـاليـد المجتمع، وهذا الالتزام لا يحد من حرية المبدع ، ولا يحد من خياله ، ولكنه ينظمـها بشكل متوازن مؤثر فى بناء الشخصية الإسلامية بناء متـوازناً يتطابق فيـها القـول مع العـمل ، فى صـورة واقـعيـة بعيـداً عن الخيال الجامح الذى يحلق بصاحبه فى فضاء لا نهائى ، مما يصيبه بخيبة الأمل عندما يكتشف أنه يقبض على سراب .

وقد تحدد هذا المنهج الإسلامى فى قول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴾ . (الشعراء ٢٢٤-٢٢٧) .

وفى قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) ﴾ . (ابراهيم : ٢٤ - ٢٧) .

بهذا يحدد المنهج الإسلامى السبيل لخلود الأدب فى الأمرين :

١ - الالتزام بالواقعية والابتعاد عن الخيال السلبى ذى الأثر السيىء على الشخصية الإسلامية .

٢ - أن يكون أدباً هادفاً متضمناً القيم الدينية والخلقية ومراعاة عادات وتقاليد المجتمع .

ويضرب الله لنا المثل الأعلى فى قصص القرآن الكريم : قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (يوسف ٣) .

والمقصود بالحسن هنا هو اكتمال القصة معالجة وفكرا ولغة ، ولنا فى قصة « يوسف » خير مثال ، فهى تعالج موقفا حساسًا ، يحتاج إلى معالجة خاصة لا تخدش حياء المتلقى ، فيقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥)﴾ (يوسف :٢٣-٢٥) .

لننظر إلى الوضوح الشفيف ، وإلى الإيجاز والتركيز والتلميح والإيحاء . لننظر إلى حسن اختيار الألفاظ غير الجارحة أو الخادشة لحياء القراء ، لننظر إلى وصف الصراع بين الشخصيتين ، بين الخير والشر ، بين امرأة العزيز (الخطيئة) ويوسف (الطهارة والنقاء) وانتصاره على نفسه وضبطها من الوقوع فى الخطيئة ، إنها قصة نفسية

تصور الصراع بين الأخوة للحصول على حب الوالدين والغيرة من تفضيل الوالد ابناً من أبنائه عليهم .

ولنضرب مثلا آخر من القصص القرآني عن موسى عليه السلام الذى وعد الله سبحانه وتعالى والدته بإعادته إليها سليما معافى وعاد إليها أبنها وسعدت به فيقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ طسم ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝٦ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٧ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۝٨ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٠ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ۝١٢ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٣ (القصص : ١ - ١٣) .

تشتمل قصة موسى على مواقف عديدة ، يمثل كل موقف مرحلة من مراحل حياته ، ويمكن القول إن كل موقف يمثل قصة قصيرة يربطها جميعها الشخصية الرئيسية وهى موسى حيث يمثل المحور الأساسى الذى تدور عليه القصة ، ويعتبر الموقف الذى ذكرته سابقا من بدايته إلى نهايته قصة قصيرة مستوفاة الشروط فهى تبدأ ببيان الوضع الاجتماعى فى عصر موسى وقوة فرعون وظلمه الذى وصل إلى ذبح جميع الأطفال حتى لا يخرج طفل يهدده ، وصف خوف أم موسى على وليدها ، وعد الله لها بإعادته إليها وقد صدق وعده وسعدت أم موسى بابنها .

فنجد أيضاً التركيز حيث وصف عصر فرعون الاجتماعى والسياسى فى كلمات قليلة ، ثم واقعية اللغة ودلالتها الفنية كما نرى فى كلمة (قصيه) التى تغنى عن ذكر كلمات كثيرة لشرح ما تطلبه أم موسى من ابنتها .

ويتضح ذلك فى قصة « أم موسى » (١) لسعاد عبد الله الناصر (أم سلمى) فقد اعتمدت على النص القرآنى كما هو ولكن بتصوير أشمل لما أوجزه الأداء القرآنى فوصفت حالة الذعر التى عاشها الناس خوفاً وجزعا من قتل أبنائهم . « وعاشت الأحياء أياما طوالا مليئة بالقهر والحزن والألم ، والمئات من الأطفال تذبح أمام أعين الآباء والأمهات الذين لم يكونوا يستطيعون التفوه بكلمة واحدة احتجاجا على الظلم والعدوان ، بل فى بعض الأحيان كان الجنود يمنعون الأمهات من مجرد الصراخ والبكاء على أطفالهن » .

ولنقرأ وصفها لأم موسى طوال حملها وما كانت تشعر به من ذعر وخوف « استمر ذعرها طوال حملها يستبدها أكثر كلما سمعت أقدام الجند وهم يبحثون عن المواليد الجدد ، ويتفطر قلبها أسى كلما وخز سمعها صرخات الأمهات وهى تنوح وتتعالى وتتجه نحو السماء متتالية، ممتدة ، تستنجد ، تتضرع ، وتشد زوجة عمران فوق بطنها إزارا من الكتان حتى لا يظهر عليها الانتفاخ كلما اضطرت للخروج من منزلها ، وكانت أصداء الصرخات تتردد فى نومها وتتضخم وتسرى بين الأحياء الضيقة وجدران البيوت ، فتفيق من نومها وقلبها يدق وينزف وينذر بمزيد من العذاب والألم » (٢) .

فالكاتبة مع التزامها بالأحداث كما جاءت فى النص القرآنى ، إلا أنها أفاضت فى الوصف والتعليق وشرح ما أوجزه الآداء القرآنى المعجز وتصوير الصراع النفسى الذى تعانيه أم موسى خوفا على وليدها من فرعون وكيف أطمأن قلبها المؤمن لثقتها فى الله سبحانه وتعالى الذى وعدها بإعادته إليها لتقر عينها وقد تحقق الوعد ، واطمأن فؤاد أم موسى .

الخصائص الفنية للقصة القصيرة الإسلامية هى :

١ - مضمون هادف يدعو إلى قيم الحق والخير والإيمان من منظور إسلامى :

٢ - التزام الواقعية والبعد عن الخيال المبالغ فيه فيؤثر فى المتلقى تأثيرا سلبيا .

٣ - المعالجة الفنية المعاصرة المتطابقة مع تطور تقنية القصة فى العصر الحديث ، مع الحرص على أن تكون معالجة منطقية مقنعة للمتلقى .

٤ - رسم الشخصيات رسما مقنعا فى سلوكها باعتبارها شخصيات تحمل رؤية إيمانية إسلامية .

٥ - الحرص على استخدام اللغة النظيفة النقية ، والصور الفنية الراقية والبعد عن إثارة شهوات المتلقين بالتعابير الجنسية الهابطة والألفاظ المسفة باسم الواقعية الرديئة التى نقتضى ، كما يتصور أصحابها استنطاق الشخصيات حسب مستواها العلمى والتعليمى ، وهذا ما يدفعهم إلى استخدام اللهجة العامية ليس فى الحوار فقط ولكن فى السرد أيضاً مما دفع المغالين من مثل هؤلاء الكتاب إلى كتابة الدراسات النقدية باللهجة العامية بل كتابة الروايات أيضا مثل رواية لبن العصفور ليوسف القعيد .

٦ - الحرص على كتابة القصة سردا وحوارا باللغة العربية الفصحى .

٧ - الاستفادة من التراث الدينى والتاريخ الإسلامى الزاخر بأقاصيص البطولات والتضحيات من أجل الإسلام حبا فى الله ، وفى رسوله ، والتضمين من القرآن الكريم والأحاديث النبوية .

النماذج القصصية قراءة وتحليل :

القصة القصيرة الإسلامية مثل بقية الأجناس الأدبية الإسلامية تتناول الموضوعات التالية :

١ - القضايا الدينية بأسلوب فنى جذاب بعيدا عن الوعظ والمباشرة والهتاف لغرس العقيدة الصحيحة فى نفوس الشباب ، وتوجيههم التوجيه الصحيح بعيدا عن التطرف والسطحية .

٢ - القضايا الاجتماعية بصورها المختلفة .

٣ - القضايا العاطفية بأسلوب فنى يحترم مشاعر المتلقى ، فلا يجرحها ولا يستثير الغرائز بالابتذال .

وتستقى القصة القصيرة الإسلامية من المصادر التالية :

١ - القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف استيحاء أو تضمينا .

٢ - إعادة صياغة للقصة القرآنية مع شرح ما أوجزه الآداء القرآنى .

٣ - التاريخ الإسلامى الزاخر بقصص البطولة والفداء من أجل الدين والوطن .

٤ - العادات والتقاليد .

٥ - من الحياة اليومية ومشاكلها الاجتماعية والنفسية والعاطفية من منظور إسلامى يأخذ بيد الإنسان إلى الطريق السوى ليكون إنسانا قويا .

القرآن الكريم وإعادة صياغة :

١ - من القصص التى استوحى الكاتب القرآن الكريم . واستفاد منه بإعادة صياغة القصة مع شرح ما أوجزه الأداء القرآنى ، وتفسير رموزه ، ودلالات الألفاظ ، قصة « أم موسى » لسعاد عبد

الناصر (أم سلمى) ، وقد مضى الحديث عنها فى أول الدراسة ، لقد وصف الكاتب معاناة أم موسى ساعة الولادة وتوترها النفسى خوفا على وليدها من القتل ، وقد ضمنت الكاتبة القصة بعض الآيات القرآنية .

من التاريخ الإسلامى قديما وحديثا :

٢ ـ ومن القصص المستمدة من التاريخ الإسلامى قصة « كلمة حق عند سلطان جائر » (٣) لخليفة بن عربى ، وهى تدور حول كرامة العلماء ، وعزتهم فى قول الحق عند السلطان دون خوف ، وقد استفاد الكاتب من موقف الإمام الأوزاعى مع الخليفة عبد الله بن على ، فيصف ظلم الخليفة وخوف الناس وبعض العلماء منه مما يدفعهم إلى موافقة آرائه خوفا من السيف ، لكن الإمام الأوزاعى ، عندما دعى لمقابلة الخليفة ، ذهب مسلحا بإيمانه القوى بعلمه وبشجاعته فكان صريحا فى إجاباته غير مهتم بغضب الخليفة الذى قد يأمر بقطع رقبته فى أية لحظة ولكن الخليفة عفا عن الإمام الأوزاعى ، والكاتب يهدف من ذلك إلى القول بأن الخليفة احترم فى الإمام صدقه ونظافته وشجاعته واحترام نفسه .

والقصة سردية وصف فيها الكاتب شخصية الخليفة ، وشخصية الإمام بأسلوب عربى فيه سلاسة . وحرص الكاتب أيضا على أن يكون الحوار باللغة العربية السهلة ، كما ضمن الكاتب القصة بعض الآيات القرآنية لتعميق الموقف وإكسابه دلالات أشمل .

وفى قصة « العالم السعيد » (٤) لمحمد المجذوب ، يستمد من التاريخ الإسلامى أيام دعوة النبى عليه الصلاة والسلام قريشا للإسلام التقط الكاتب موقفا من المواقف المؤثرة ، مبرزا الصراع النفسى الذى يعانيه بطل القصة « فضالة » الذى يستعيد مواقف النبى ﷺ وسلوكه مع الناس وما فيه من تسامح ومحبة وصدق وأمانة حتى لقب بالأمين ، ثم ما لبث أن يتذكر أهله القتلى فى المعارك بين المسلمين والكفار وسخرية فتاته منه ومن هزيمتهم أمام جيش المسلمين بقيادة النبى ﷺ وتساله عن سبب انتصار المسلمين عليهم فيجيبها « اسمعى ياهنه .. إنهم حقا رجال .. ولكنهم يحبون الموت كما يحب غيرهم الحياة .. إنهم يؤمنون بوجود آخر فيه الخلود والنعيم ، وما لا عين رأت ولا أذن سمعت .. فهم يقتحمون عدوهم للوصول إلى ذلك العالم السعيد .. أما نحن فنقاتل للسمعة ، ونحن موقنون أن ليس لنا سوى هذه الحياة القصيرة .. وشتان بين الفريقين » .

ويؤكد الكاتب العنصر الإيمانى عند الإنسان الذى يمده بالقوة والصلابة والثبات والتضحية حتى أن جيش المسلمين البالغ المئات يهزم جيش الكفار البالغ آلافا .

يستغل الكاتب الحالة النفسية القلقة التى تدفعه إلى التفكر فى الفرق بين الحالين : حال المسلمين وحال الكفار ، ويعمق الكاتب التساؤل بحثاً عن الحقيقة ، ويبرز السؤال الذى يزلزله عن الرسول ﷺ « أليس هو الذى أجمعت قريش على تسميته بالصادق الأمين ؟ .. وماذا أحدث لها من أذى حتى تجمع على حربه ؟ أكل ذنبه أنه يدعوها

إلى عبادة الله وحده ، وخلع كل ما دونه من هذه الأوثان .. هذه الدمى التى لم تقدر على حماية نفسها .. فراحت تساقط على وجوهها من أعلى جدران الكعبة » .

ويكون لكلمة الرسول ﷺ عندما دخل مكة منتصرا « اذهبوا فأنتم الطلقاء » أثر كبير يؤثر فيه « وتتفاعل أصداء هذه الكلمة فى خياله ، فإذا هناك مشاهد الكاتب الزاحفة تحت رايات محمد وقد أحاطت بأرجاء مكة ، وأطبقت على مشارف الطرق فلا مفر لأحد من قبضتها ، ومع ذلك ، ومع قدرته المطلقة على البطش بخصومه الذين أكرهوه على مفارقة مكة .. لم يفعل شيئاً سوى حمايتهم من كل كرب ، ثم إبلاغهم أسمى مشاعر الرحمة فى القرار العظيم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » وتزلزل كيانه هذه الكلمات فيصرخ « لا : لا .. إنى سأظل أكره محمدا .. ولن أسمح لهذه الأفكار الغريبة بأن تقلل من بغضى إياه» .

ويستمر فى التفكير والمقارنة حتى يؤمن أخيراً بالنبى عليه الصلاة والسلام بعد أن التقى بالنبى ﷺ فى الكعبة ويضع يده على صدره ثم لم يكد يرفعها حتى أحس فضالة أن كل شىء فى وجوده قد تغير ، وأنه منذ الساعة قد بدأ يطل على مشارف العالم السعيد » .

وقد ختم الكاتب القصة بنهاية غير مباشرة يفهم منها أنه آمن عندما ردد بيت الشعر حينما نادته صاحبته :

هلم إلى الحديث فقلت لا ... يأبى عليك الله والإسلام

فى أسلوب سردى جذاب شائق أدار الكاتب الصراع النفسى الذى

يعانيه « فضالة » الشخصية الرئيسية فى القصة ، فى هدوء مقدما الدليل تلو الدليل الذى يرجح كفة النبى ﷺ ، ويقنع « فضاله » إقناعا حقيقيا لا يتغير ولا يتبدل ، وشخصية « فضالة » شخصية متطورة رسمها الكاتب بدقة حتى يكون تغيره منطقيا ، لا تغيرا مفاجئا ما يلبث أن يتزعزع . وعنوان القصة يرتبط بموضوعها حيث النهاية السعيدة لبطل القصة .

ومن التاريخ الإسلامى الحديث استمد الكاتب محمد على وهبة قصته « شعاع الأمل » (٥) والقصة تدور حول الحرب الأفغانية ضدالروس ، وفيها يصور الكاتب نضال الشعب الأفغانى ضد الإلحاد وانتصارهم بعون الله سبحانه وتعالى ، وبإصرارهم على الشهادة .كما يصور الكاتب مرحلة النضال لبناء وطنهم ، وإزالة آثار الحرب وهذا هو الجهاد الأكبر الذى يواجهه الأفغانيون بإيمانهم القوى وإصرارهم على العيش بكرامة ويجيب الأب ابنته عن تساؤلاتها عن أسباب الحرب .

« لماذا كانوا يحاربوننا يا أبى ؟

« أغلق الكتاب ، وهو يفكر فى سؤالها ، لم يجد إجابة جاهزة فى رأسه ، ظل يبتسم لها ، وهو يحاول إيجاد كلمات مناسبة لعقلها ، ثم قال : « إنهم لا يخافون الله .

« لماذا لا يخافونه ؟

« لأنهم لا يؤمنون به .

« وأضاف وابتسامته تتسع :

لذلك انتصرنا عليهم بفضل الله » .

وقد أنهى الكاتب القصة نهاية مستبشرة بالمستقبل صاغها

الكاتب صياغة رمزية : « كان يتهيأ ليقول له فى ابتهاج الصبح الجديد : هيا نبدأ جهادنا الأكبر لكنه أحس برعشة منعشة تنساب فى قلبه ، اختفت معها الكلمات فى حلقه ، مع ارتعاش دمعتين مبتهجتين ببشائر الخير فى عينيه » .

من الحياة اليومية :

لم يقف الأدب الإسلامى عند الاستفادة من التراث الدينى والتاريخى الإسلامى ، بل امتد اهتمامه إلى قضايا الإنسان اليومية التى يعايشها ويعالجها من منظور إسلامى ، يعرض القضية ومناقشتها وتحليلها ، وتقديم الحلول المنطقية المقنعة التى تخاطب القلب والعقل معا ، وتغرس فى نفوس المتلقين الاطمئنان والثقة فى المستقبل مع التمسك بإيمانه وثقته فى الله سبحانه وتعالى ، ويؤمن أيضاً بأن كل شىء بيد الله سبحانه وتعالى .

ففى قصة الأجل(٦) للدكتور عودة الله منيع القيسى ، يؤكد الكاتب على أن الموت والحياة بأمر الله سبحانه وتعالى ، وأن الموت لا يرتبط بمرض أو بسن صغير أو كبير ، ولكنه قضاء الله يأتى فى أية لحظة .

فالشخصية الرئيسية شخصية متطورة أى تتغير من السلبية إلى الإيجابية ولم يأت هذا التغير عفويا دون مبررات غير منطقية ، ولكن الكاتب صاحب الشخصية فى حالاتها المختلفة ، وقدم الأسباب سببا وراء سبب لإحداث ذلك مع إتاحة فرصة للتفكير ليكون التغيير الجديد تغييرا جادا حدث عن إقناع عقلى وقلبى .

إن القارئ يشعر بأن هذه الشخصية حية يشاركها حيرتها وقلقها، وشجاعتها ، وقد استطاع الكاتب أن يغوص فى نفسية الشخصية مفتشا فيها عن ذكرياته ، وقد استغل الكاتب كل الأسباب النفسية والدينية والذكريات والأهل كعناصر تساعد الشخصية على التغيير ، وتساعد أيضا على تعميق الفكرة .

أما قصة « اللقاء السعيد » (٧) لمحمد المجذوب فيعالج فيها الكاتب قضية المهاجرين إلى أمريكا ، وتأثير الحضارة الغربية على الضعفاء منهم وكيف تسحقهم وتمحو شخصيتهم ودينهم يذهب «محمود » بعد استئذان أمه التى تولت تربيته تربية دينية أصيلة فى الذهاب إلى أمريكا للدراسة والعمل والبحث عن والده الذى هاجر ، ولم يعد إليهم .. يلتقى محمود بوالده ويستقبله استقبالا حارا ، ويقيم معه وبعد فترة قصيرة دب الخلاف بين الوالد وابنه ، فالوالد يريد أن يغير ابنه شكله فيحلق لحيته ، ويغير سلوكه المتدين فيذهب معه إلى الملاهى .. هنا تذكر محمود كلمات أمه وهى تودعه : « أنت موضع ثقتى يا محمود .. ولكنها أميركة يابنى .. التى تجر العالم إلى الدمار حتى هؤلاء الذين تشير إليهم .. كم نسبة الذين ثبتوا منهم على مقوماتهم الإسلامية ! .. ألم تر .. ألم تسمع ما يفعل وما يقول أكثر هؤلاء الذين عادوا من أميركة محملين بجراثيم الكفر والفسوق والمروق » .

محمود شخصية ثابتة متمسكة بدينها ، مما أكسبها قدرة على تحدى مغريات أمريكا المستترة التى سحقت والده ، كما أنه يوجد

ارتباط بين العنوان وأحداث القصة ، فالنهاية كانت سعيدة لكل فرد في الأسرة ، وذلك بإيمانها القوى الذى اعتمد عليه الكاتب فى المحافظة على الشخصيات السوية ، ونلاحظ أيضا تضمين القصة بالآيات القرآنية .

ويمكننا الوصول مما استعرضناه سابقاً بإيجاز إلى :

١ - تعالج القصة الإسلامية - بل الأدب الإسلامى كله - قضايا الإنسان الاجتماعية والسياسية والفكرية والعاطفية معالجة واقعية بأسلوب مقنع بعيدا عن الخيال الجامح المريض الذى يصيب الإنسان بالتوتر العصبى واليأس لعجزه عن تحقيق ما فى الخيال على أرض الواقع . وقد بين ذلك الدكتور شوقى عبد الحليم حمادة فى تقديمه لمجموعة « اللقاء السعيد » لمحمد المجذوب حين قال إن القصة القصيرة تخلصت من الموضوعات التى أسسها الخيال المحض ، وصارت تعالج الواقع الإنسانى النفسى والاجتماعى ، واهتمت بوصف الحياة والأشخاص ومجال الأحداث الذى يبررها ، واهتمت كذلك بصراع الشخصيات النفسى فى هذا المجال لتحقيق ما يقومون به من أعمال .

٢ - شخصيات القصة بما أنها تحمل أهم قضايا دينية وفكرية واجتماعية يجعلها دائماً فى صراع مع الآخر تتصف بالإيجابية والقدرة على المواجهة لتحقيق رسالتها ، وهذا يجعلها تحافظ على سلوكها الفكرى والاجتماعى .

٣ ـ الالتزام باللغة العربية والتعامل معها ببساطة وسلاسة وعفوية التعبير وأعتقد أن اللغة العربية الآن لا تمثل عقبة أمام المتلقى العادى بعد انتشار استخدام اللغة العربية فى الصحف وأجهزة الإعلام .

٤ ـ القصة الإسلامية يمكن أن تتناول قضايا المرأة ، ولكن دون الوقوع فى الوصف المثير للغرائز ، ويخدش حياء القارئ ، وقد بين ذلك الدكتور عودة الله منبع القيسى فى مقدمته لمجموعة « يوم الكرة الأرضية » حين قال إن الإسلام ذو نظرة واقعية للحياة لا تقوم على الرجال بل تقوم على الرجال والنساء .. ثم هل يجوز أن يصف القاص الإسلامى المرأة ويتغزل بجمالها الجسدى والمعنوى .. نقول نعم ، ولكن بحدود العفة أى يكون غزلا لا فحش فيه ، ولنا فى القرآن الكريم المثل الأعلى فى تصوير موقف امرأة العزيز وهى تراود يوسف ، فجاء الأداء القرآنى غاية فى الرقة والدقة والحرص على عدم استثارة المتلقى وخدش حيائه .

٥ ـ التزام الأديب فى إبداعه بأخلاقيات الدين وعادات المجتمع وبعقيدته الإسلامية يوجد الثقة بينه وبين المتلقى مما يجعله يشعر بالراحة النفسية والاطمئنان وعدم التوتر والقلق .

إننا فى حاجة شديدة إلى الأديب الإسلامى خاصة فى هذا الزمن الذى تدهور فيه الفكر ، والأخلاقيات ، والقيم وتحطمت فيه الرموز القائدة للشباب ليقتدوا بها ، ليعرفوا دينهم معرفة صحيحة ، ويتواصلوا مع تراثهم بحب واحترام فيحفظون أنفسهم من الضياع فى

متاهات الشعارات المزيفة المضللة التى تستهدف تفريغ العقل العربى وتشويهه ليسهل السيطرة عليه ، وتحويله إلى معول هدم لمصلحة أصحاب هذه الشعارات .

إنهم يريدون أن يطفئوا نور الله ولكن الله سبحانه وتعالى يتم نوره، ويحفظ قرآنه ولغته العربية ولو كره الرافضون كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ .

الهوامش :

١ - قصة « أم موسى » سعاد عبد الله الناصر ، مجلة الأدب الإسلامى ، العدد ١٣ .
٢ - المصدر السابق .
٣ - المصدر السابق .
٤ - مجلة الأدب الإسلامى العدد ١٣ .
٥ - من مجموعة « اللقاء السعيد » . منشورات نادى المدينة المنورة طبعة أولى ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م .
٦ - مجلة الأدب الإسلامى - العدد ١٣ .
٧ - من مجموعة « يوم الكرة الأرضية » تأليف الدكتور عودة الله منيع القيسى - من منشورات رابطة الأدب الإسلامى العالمية » .
٨ - مجموعة « اللقاء السعيد » ، تأليف محمد المجذوب - منشورات نادى المدينة المنورة الأدبى طبعة أولى ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م .

القصص فى القرآن الكريم

رغم اهتمام الخطاب القرآنى بالحديث عن الشعراء فإنه اهتم أيضا بالحديث عن القصص ، مبينا منزلته واصفا إياه بأحسن القصص فى قوله تعالى فى سورة يوسف : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ (آل عمران ٢٦) . وهذا تبيان للفرق بين الشعر والقصص ، فالشعر يهيم فى الخيال مما يبعده عن الواقع والشعراء يقولون ما لا يفعلون ، أما القصص فهو يتحرك تحت سقف الواقعية التى يعايشها المتلقى .

ليس اهتمام العرب بالشعر راجع إلى أنهم لم يعرفوا القصة ، ولكن يرجع إلى انشغالهم بالشعر وشيوعه بينهم ، أما القصة فليست شائعة ، رغم وجودها فى شكلها الحكائى البسيط ، وفى الأمثال ، ولذا لم يلتفتوا إلى التقنية العالية للقصص القرآنى الذى يمثل نموذجاً للقصص الفنى الحديث .

لماذا وصف الخطاب القرآنى القصص بأنه أحسن القصص ؟

لأن الخطاب القرآنى حرص على سرد الحقائق ، والتزام الواقعية مع البعد عن المبالغة .. وبهذا يضع الخطاب القرآنى المثال الحقيقى لما يجب أن يكون عليه القصص الذى يجب أن يلتزم به الكتاب حتى لا يقعوا فى الإسفاف الموضوعى والأسلوبى .

القصص القرآنى يختلف عن القصص الذى يكتبه البشر فى عدة وجوه ، يذكرها الدكتور حسين على محمد فى كتابه . القرآن ونظرية الفن » .

- القرآن الكريم يعرض علينا حقائق فى صور تستسيغها عقولنا وأذواقنا وتهفو إليها عواطفنا ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وهدى ورحمة ﴾ (سورة يوسف) .

- القرآن الكريم يصف النفوس كما هى ويجب أن تكون ليجعل الواقع نقطة انتقال نحو مثالية لا يقدر على الاقتراب منها غير المؤمن بالقيم الإسلامية .

- وجود وحدة القصة .

- كثيرا ما يعرض مجردا من الزمان والمكان اللذين وقع فيهما الحدث.

- الاهتمام بالأشخاص وقد يذكر بعض صفاتها .

- البعد عن الغموض .

- اشتمال نهاية القصة على لحظة التنوير .

وسنعرض الآن بالتحليل لقصة من القصص القرآنى وهى قصة «يوسف » .

• البداية :

يبدأ الخطاب القرآنى السورة بتوضيح أمر مهم ، وهو أن هذا القرآن نزل باللغة العربية ، ثم يقرر حقيقة أخرى وهى أن ما سيقصه من قصص هو حقيقى ، يقدم أحداثا واقعية بعيدة عن الخيال والمبالغة فيقول سبحانه وتعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ . (يوسف ٣) .

بعد تهيئة الأذهان لتلقى أخبار يوسف يدخل الخطاب القرآن فى المشكلة الأساسية التى تتمحور عليها القصة وهى رؤية يوسف التى

رواها لأبيه فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ وهنا يستثير الخطاب القرآنى شوق المتلقى لمتابعة الأحداث ومعرفة كيف سيكيد أخوة يوسف له ، وكيف سيتحقق الحلم رغم إفصاح يعقوب بما ينتظر يوسف من مكانة كبيرة . فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

ثم بين الخطاب القرآنى الهدف من ذكر هذا القصص وهو العظة والعبرة .

● **سرد الأحداث - التمكين الأول .**

يبدأ الخطاب االقرآنى بسرد المكائد التى دبرها إخوة يوسف : تركه فى البئر .

- الإدعاء بأن الذئب أكله - إحضار قميصه ملطخاً بدم كذب - أحساس يعقوب بتدبير أخوة يوسف ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

ثم يواصل الخطاب القرآني عرض ما تعرض له من أحداث في بيت العزيز : إعجاب امرأة العزيز به - ادعاؤها بأنه راودها عن نفسها - ظهور الحقيقة .

- التمكين الثاني :

مكونة في السكن ، وهذه الخطوة الثانية لتحقيق حلم يوسف » - تفسير حلم عزيز مصر - استدعاء يوسف من السجن لمقابلة عزيز مصر ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠) ﴾. اعترف النسوة بالحقيقة - ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾

٣ - النهاية :

يواصل الخطاب القرآني سرد المرحلة الثالثة من الأحداث وهي : تعيين يوسف على خزائن الأرض - قدوم إخوته إليه - معرفة يوسف إخوته - تدبير يوسف ليأخذ أخاه الصغير - وتنتهي الأحداث بتعارف الإخوة ، ارتداد بصر يعقوب عندما شم رائحة يوسف وألقوا بقميصه عليه ، رجوع إخوة يوسف إلى الحق - حضور يعقوب ومن معه إلى مصر ، ويجتمع شمل الأسرة ، ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ .

أغراض السورة :

- التسليم الكامل لله سبحانه وتعالى والإيمان بأنه القادر المانح والمانع .
- الصبر على البلاء .
- عدم التفريق فى تربية الأبناء حتى لا تزرع فيهم الغيرة والحسد .
- استخدام الخطاب القرآنى الأسلوب القصصى كوسيلة مشوقة لتوصيل المضمون .
- تسلسل الأحداث وعرضها بأسلوب شيق بجذب المتلقى .

التعبير بالصورة الفنية التى تغنى عن السرد الوصفى كما فى قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ .

بهذه الصورة الفنية استغنى عن الاسترسال فى وصف جمال يوسف .

الصراع الدائر فى القصة صراع نفسى يحتدم داخل الشخصيات وينعكس ذلك على سلوكهم تجاه الآخرين .

هذا نموذج من القصص القرآنى . لعل الكتاب يهتدون به ، فيرتقون بالفن القصصى ، ويخلصونه من الإسفاف والإثارة الرخيصة ، والضعف الأسلوبى .

* * *

قــراءة فى قصص

أمين ريـــان

إن منح جائزة الدولة التشجعية لأمين ريان ليس تقديرا له فقط ولكن تقديرا لجيله الذى كافح بصبر وأناة دون يأس ؛ إيمانا منهم بفنهم وفى الوقت نفسه دحر لقرامطة الفكر على حد تعبير الدكتور عبد العزيز الدسوقى الذين ضربوا حصارا حول مجموعة من الأدباء مثل محمود البدوى ومحمد عبد الحليم عبد الله وأمين ريان وسعد حامد والشاعر كامل أمين ، حتى لا تصل كتاباتهم إلى القراء وتخلو بذلك الساحة الأدبية لصنائعهم من الأدباء الذين يصنعونهم بالصراخ والجعجعة فى الصحف والإذاعة ليفرضوهم على الساحة الأدبية ولكن الأيام أثبتت أن البقاء للكلمة المخلصة الأصيلة أما هؤلاء الأدباء صنيعة صراخ أجهزة الأعلام التى كان يسيطر عليها قرامطة الفكر ..

لم يتوقف أمين ريان وجيله الذى عانى الظلم عن الإنتاج محاولا أن يقدم كل جديد فى الشكل والمضمون ، محاولا أن يجمع بين الأصالة والمعاصرة .. وإذا نظرنا فى قصص أمين ريان ابتداء من مجموعته القصصية الموقع حتى مجموعته التى حصل عنها على جائزة الدولة التشجيعية - صديق العراء .. فى هذه القصص نجد أن لأمين ريان خطين أساسيين يسمان أعماله كلها الأول : الجانب الاجتماعى والثانى : شخصية ابن البلد والبيئة الشعبية .

والجانب الاجتماعى يمثل عنده قضية أساسية تشغل باله ، فهو يتعاطف مع الطبقات المظلومة . المطحونة بين فكى الحاجة وظلم الرؤساء الذين لا يهمهم إلا مصالحهم . وأمين ريان يستمد نماذجه من واقع الحياة ولذلك فهى نماذج حية تتحرك أمامنا .. نحس بأنفاسها .. نتعاطف معها فى نضالها من أجل الخروج من دائرة القهر ... وشخصياته واعية تدرك ما يدور حولها تماما ولكنها لا تستطيع أن تفعل شيئا لقلة حيلتها ، ففى قصة « الموقع » يصور حال خفير الموقع وما يعانيه من فقر وينتظر دائماً أن تتحسن حاله ، أن يتكرم أحد الأفندية الموظفين الذين يزورون الموقع أن يصرفوا له مكافأة ، ولكن الأفندية الزائرين يعدون دائما ولا يعرفون .. وبين لنا الكاتب سخرية الخفير من الأفندية لعلمه أنهم لن يفعلوا شيئا له ... وغير هذا الموقف أيضا فى قصة « سبعين » وقصة « ركايب » (من مجموعة = الموقع) وكاتبنا لا يقدم شخصياته مجردة متينة الصلة بالواقع ولكنه يقدمها فى إطار ظروفها الاجتماعية والمواقف القاسية التى تعانيها نتيجة الفقر والمرض .. وينتقل أمين ريان من هذه المرحلة فى مجموعة « الموقع » إلى مرحلة أخرى تناول فيها الجانب الاجتماعى أيضا ، ولكن من خلال تقديم شخصيات ونماذج انتهازية ومتسلقة وتسرق فرص الآخرين ويتمثل هذا فى مجموعة « صديق العراء » فيقدم « سعدون » ، « أبو رشاش » و « سميحة برطاس » فى قصة « انتخابات » التى يصور فيها مهزلة الانتخابات والاستهلاكى ، وزحلاوى فى قصة . « سعدون » الذى يضيفه إلى زملائه الطفيلى والإذاعى

والاستهلاكى .. أمثال هذه النماذج التى فقدت الحياء ، وإن أنا لا أدهش إذا أضيف الزحلاوى إلى نماذج الطفيلى والإذاعى والاستهلاكى .

- لا .. لا أجد الله بينى وبين هذا السعدون .

- يمينا ينتخب اليسار ؟ كيف لا يكون من نماذجك .

- كلا وألف كلا .

- أو يمينا لا يعرف حقيقة نفسه .

- صوره أنت يا أستاذنا إذا أمكنك أن تركب له ملامح .

- وماذا يفتقد من الملامح .. حتى .. حتى ... حتى .

يفتقد الحياء الذى هو أساس كل الملامح .

وفى قصة « الإنسان المساعد » يقدم مأساة شعبان أفندى الذى يتفانى فى عمله وينفذ ما يأمره به مديره دون مناقشة ليحصل على المكافأة دون زملائه المساعدين .. اضطر أن يكتم خبر المكافأة عن زملائه حتى لا تضيع منه .. اضطر إلى هذا التنازل ومشاركة المدير والمهندسين فى هذا التكتم لأنه غارق فى الدين والكاتب هنا يلتمس له العذر نتيجة لظروفه « تذكرت دينى لصهرى .. وآلام أسنانى .. ومتطلبات الأولاد لدخول المدارس وهستيريا الأسعار التى انتابت زوجتى . الزجاجات التى تحضر كل أسبوع من المستشفيات المجانية دون أن يتيسر لها العلاج الحقيقى .. فأنهيت مهمة كشوف المنحة سرا دون أى تغيير فى ليلة واحدة » .

لقد سقط شعبان أفندى فى الخطأ ولكن له العذر لأن الظروف أقوى منه فجعلته يشترك كما قلنا فى جريمة إخفاء حقوق زملائه المساعدين .. وكاتبنا فى مجموعة صديق العراء يلتمس الجوانب الإنسانية ففى قصة « صديق العراء » يصور ما يعانيه صديق من فقد صديقه فى حرب عام ١٩٦٧ ، وما يعانيه الطبيب أخو الشهيد من ضياع نتيجة فقد أخيه وغدر الحبيبة ويفقد عقله ويظل يردد « سأشرح جسدها » . الجثة المزوقة .. سأكشف عن حقيقتها ، أنه يريد أن ينتقم من التى غدرت بالصفاء والنقاء .

وكتابات أمين ريان الدائمة عن القضايا الاجتماعية واختياره أغلب قصصه من البيئة الشعبية .. جعلت كتاباته تتميز بالتصوير الدقيق للبيئة الشعبية .. تتميز بتصويره لابن البلد وهو فى قصصه يقدمه بصورته الحقيقة دون تكلف .. يقدمه كما هو يبين أسلوبه فى الحياة وطريقة تفكيره .. وكيفية مواجهته لمشكلاته ، يكشف عن أخلاقياته التى تتسم بالرجولة فى المواقف والشهامة ولقد اهتم من قبله الشهيد يوسف السباعى بتصوير شخصية ابن البلد والبيئة الشعبية ويتمثل هذا فى مجموعة من « أبو الريش إلى جنينة ناميس » و « الساقا مات » وغيرهما من أعماله الخالدة .

إن قصص يوسف السباعى التى تصور هذا الجانب من الشخصية ، وقصص أمين ريان أيضا ستظل خالدة نرجع إليها دائما ، نريد أن ندرس هذا الجانب من الشخصية المصرية . . . .

عندما تهـفو نفوسنا لزيـارة هذه الأماكن التى تغير الكثير من معالمها الآن .

الحقيـقة أن الكتابة عن شخصيـة ابن البلد عند أمين ريان تحتـاج إلى دراسة مستقلة سنتناولها إن شاء الله .

إن المـتـتـبـع لإنتـاج أمـين ريان يلمـس تمـامـاً تطوره الفنى منذ مجموعة « الموقع » حتى مجموعة « صديق العراء » فقد تخلص من التفصيلات وأصبح يعتمد على التركيـز والاستخدام الدقيق للغة ويتمثل هذا فى مجموعة « صـديق العراء » إن أمين ريان طاقة فنية خلاقة ومن الجيل الذى أخذ نفسه بالجهد والدأب والمثابرة مما أكسبه خبرة فنية استطاع أن يستفيد بها فى قصصه .

* * *

صالح جودت قاصا

عرف صالح جودت - رحمه الله - (١٢ ديسمبر ١٩١٢ - ٢٣ يونيو ١٩٦٧ م) كشاعر كبير من رواد مدرسة أبولو ، صدر له من الدواوين : ديوان صالح جودت ١٩٣٤ ، ليالي الهرم ١٩٥٧ ، أغنيات على النيل ١٩٦٢ ، الله والنيل والحب .

كان صالح جودت من أنصار الشعر البيتي وظل على مبدئه حتى لقي ربه ، خاض الكثير من المعارك الأدبية ضد أنصار الشعر الحديث مما جعلهم ــ ومعهم اليساريون ــ يتكتلون ضده ، ولم يتمكنوا منه حيا ، ولكنهم تمكنوا منه بعد موته ، فلم تكتب عنه كلمة واحدة في صحيفة أو في كتاب في ذكراه ، حتى كتبه لم تقم أي مؤسسة ثقافية بالقاهرة بإعادة طبعها ، رغم اهتمامها بإعادة طبع كتب من هم دونه ، وقد شعر أحد أصحاب دور النشر الخاصة الكبرى بالقاهرة بالندم عندما سألته عن دواوين صالح جودت فقال « لقد نسينا هذا الرجل » .

وقد أشاد الشاعر محمد عبد الغني حسن - رحمه الله - بموقفه المعارض للشعر الحديث والتيارات الفكرية الهدامة .

لك في مناصرة البيان مواقف	ما كان غيرك نحوها من منجد
الرأي بين يديك حلو الملتقى	والنقد في كفيك ضخم المشهد
أزريت بالشعر الحديث .. لأنه	قد ضل عن نهج البيان الأرشد
لا بأس بالتجديد إن هو لم يكن	هدما لما بتراثنا من سؤدد

• • •

• **تعريف**

لصالح جودت إنتاج قصصي وروائي ودراسات لا تقل جودة عن شعره لا يعرف عنها شيئا الكثير من الأدباء الآن ، ففي الرواية : عودي إلى البيت ١٩٥٨ ، وداعا أيها الليل ١٩٦٠ ، بنت أفندينا وفي القصة القصيرة : كلنا خطايا ١٩٥٨ ، وفي فندق الله ١٩٥٩ ، كلام الناس ، خائفة من السماء ١٩٦١ ، كلام الناس (تمثيليات قصيرة) ، وفي الدراسات : ملوك وصعاليك ، ناجي حياته وشعره ، محمد عبد المعطي الهمشري .

عمل مدير الإعلام في بنك مصر ، وخبيرا بالإذاعة ، محررا في جريدة الأهرام ودار الهلال ومجلة الاثنين والمصور ، ثم كان عضوا بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، ورئيس لجنة الشعر بالمجلس ، شغل منصب نائب رئيس مجلس إدارة دار الهلال ، ورأس تحرير مجلة الهلال حتى وفاته .

نال صالح جودت العديد من الجوائز الأدبية : جائزة أمير الشعراء ١٩٣٢ ، جائزة الشعر ١٩٥٩ ، حصل على جائزة الدولة التشجيعية في الشعر ١٩٦٢ ، ورشح لجائزة الدولة التقديرية في الشعر في أواخر أيامه ، ومات قبل أن ينالها .

عرفته إنسانا دمثا رقيقا كريما ، يحب الحياة والجمال ، وقال فكري أباظة - رحمه الله - عن كرمه « إنه كان مغدقا لدرجة الإسراف ،

جوادا لدرجة الإتلاف ، كان إذا ذرف البائس الذى أمامه دمعه من دموع الوجيعة والألم ينشر من جيبه الخاص المعونة المالية إعانة وإقالة وأتعبنى حينما كنت رئيسا لهذه المؤسسة - أى دار الهلال - وهو نائب لمجلس الإدارة ، ورئيس التحرير المسئول معى ، إنه كان يجود بالمكافآت والإضافات المبالغ فيها . وكنت بكل تحفظ ألفت نظره إلى شيء فى هذه الدار اسمه الميزانية . وشيء آخر اسمه اللائحة . وكان لا يعبأ إلا أن يجود ويغدق » (مجلة الهلال أغسطس ١٩٧٦) .

* * *

اتسم إبداع صالح جودت الشعرى والقصصى بالإنسانية ، وتعاطفه مع الإنسان البسيط ، ودعوته إلى تحقيق العدالة الاجتماعية . ورفع الظلم عن الإنسان ، ليعيش فى أمن وأمان وكرامة .

هذه المعانى كلها تتجلى فى إبداعه الشعرى والقصصى ، وهذا ما سنبينه فى إحدى رواياته « بنت أفندينا » ومجموعة القصص القصيرة « كلنا خطايا » كنموذجين لأسلوبه الفنى وأفكاره .

رواية « بنت أفندينا » تسجل حال مصر قبل ثورة ١٩٥٢ وبعدها وتبين كيف كانت مصر عزبة خاصة للملك وأسرته والإقطاعيين . كشف الكاتب الفساد السياسى الذى كان متفشياً ، واستغلال النفوذ ، كما قال أحد الفلاحين « أننا سنعيش طول العمر ولا رأى لنا فى سياسة بلدنا يا حضرة العمدة ، ألا ترى أن استبدال لافتة بلافتة بين

الحين والحين معناه استبدال إيمان بإيمان ؟ .. وإلى متى سنعيش في هذا الطابور من النفاق ، نهتف مع كل صباح جديد لأول ناعق » (ص ١٤) .

ويبين الكاتب الوضع السياسى والاجتماعى قبل الثورة بقوله « كلهم .. كلهم طلاب حكم .. طلاب مصالح .. وليس لنا إلا أن نسلم أمرنا لله ، ونمشى فى الموكب مع كل حاكم جديد ، إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولا » (ص ١٥) .

أفندينا ملك من الملوك الصغار المنتشرين فى قرى مصر ينهبون أرضها ، ويشربون عرق الفلاح رخيصاً ، ويسرقون أرضه ظلما ، فهو يتزوج ابنة عمار باشا أحد الملاك الكبار فى القرية طمعا فى أرضه ، يموت والدها فيستولى على أراضيها وممتلكاتها ، ويمتد طمعه إلى أراضى الفلاحين المساكين « ماذا يهم أفندينا من أمرنا يابنى .. إن أكلنا أو متنا من الجوع » (ص ١٦) ، أفندينا لا يراعى حرمة زوجته ، لا هم له إلا ملذاته وسهراته الحمراء تموت الزوجة تاركة بنتا جميلة « نارمين » .

القرية صارت بقرة يستنزفها أفندينا ، وبطانته والإقطاعيون ، والدجالون والمشعوذون الذين يفرزهم مناخ الفساد والجهل ، والكاتب لا يغفل دور أبناء الفلاحين المتعلمين فى تنوير الفلاحين ، وتوعيتهم بأعمال أفندينا ، وبدجال مدعى المشيخة والتدين مثل «الشيخ داود » رئيس العصابة التى ترعب أهل القرية ، ولكن كانت

هذه الجهود تذهب سدى أمام جهل أهل القرية . في هذا المناخ القاتم تنبت زهرة الحب بين قلبين نقيين بين « نارمين » بنت أفنديناء وبين «مختار» ابن كاتب عزبة أفندينا ، هذا الحب الذى غرسه الكاتب فى القلبين هو الأمل الذى أعطى القوة لمختار للصمود . والأمل فى بزوغ النور مهما طال الليل .. ويتحقق حلم « مختار » والفلاحين الذى طال انتظاره على يد الضباط الأحرار الذين قاموا بثورة يوليو ١٩٥٢ ، التى وضعت نهاية الملك الفاسد وأسرته ، خرجوا من رحم مصر ، بعدما صهرتهم التجربة ، عادوا من حرب فلسطين ورأوا زملاءهم يموتون بالأسلحة الفاسدة ، عاد الضباط الأحرار « ساخطين على الملك ، يائسين من جميع ألوان الحكم التى تنقلب على البلد ، ينظمون صفوفهم بعد أن اكتووا بنار الخيانة الكبرى على الأرض المقدسة » ، (ص ١٤٨) ، وتتحرر مصر من الحكم الملكى الفاسد ، وأسرة محمد على ، والإقطاعيين ويتحقق حلم « مختار » فى زواجه من « نارمين » وفى إنشاء الجمعية التعاونية فى قصر أفندينا بعد ما تنازلت نارمين عنه لأهل القرية ،

الرواية وثيقة تاريخية تصور بصدق وواقعية حال مصر قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ وبعد الثورة التى حققت للشعب الكرامة والعدالة الاجتماعية ، والأمن والأمان، وتعتبر هذه الرواية ورواية « رد قلبى » ليوسف السباعى - رحمه الله - من الأعمال المهمة التى تناولت التغيرات السياسية والاجتماعية فى مصر بعد الثورة .

سنتحدث الآن عن نموذج آخر من إبداع صالح جودت وهو القصص القصيرة ، ويتمثل ذلك في مجموعته « كلنا خطايا » الصادرة عام ١٩٥٨ ، وتتضمن عشرين قصة قصيرة ، وهي معزوفة إنسانية تكشف عن منهج الكاتب الفني والفكري بعزفها الكاتب في نغمات مختلفة ، تعبر كل نغمة عن موقف من مواقف الحياة بهدف الكاتب من ورائه أن يبين أنه لا يوجد إنسان بلا خطيئة كما يقول السيد المسيح « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر » وهي دعوة إلى التسامح بين الناس ، وإلى التحكم في غضبه ؛ لأن الإنسان إذا ترك نفسه للغضب دمر كل شيء ويبين الكاتب أيضا أن الإنسان يحمل عوامل قوته وضعفه معا ، لذا عليه التريث في حكمه على الآخرين ؛ لأنه لو فتش في حياته قد يجد نفسه ارتكب الخطأ نفسه ، وهذا يرجع إلى خلقه الإنساني السمح المتعاطف مع الإنسان في قوته إلى عدم ظلم الآخرين وفي ضعفه بأن يواسيه ، ويخفف عنه آلامه ، لأنه يؤمن حقيقة بأنه « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر » ويؤمن أيضا بقول الله تعالى « ولا تزر وازرة وزر أخرى » إنها دعوة إلى الرحمة ، وعدم ظلم الإنسان حتى ولو كان مخطئاً ، وهذا ما بينه في مقدمته للمجموعة « آدم وحواء والخطيئة ، هذه هي فكرة أول قصة على الأرض .. وفي كل جيل ، وفي كل أرض ، وفي كل لغة ، لكي يخفوا معالم سطوهم على الفكرة الأولى على الأرض، ولكن الخطايا بقيت محور حياتنا جميعا ومحور قصصنا جميعا ، والقصة الأولى في هذه المجموعة تحمل عنوان هذه الفكرة

بكل صراحة .. أما ما يليها من القصص ، فيحمل أسماء القصص ، فيحمل أسماء أخرى ، ليست في الواقع إلا غلالات خفيفة .. ستائر مسرحية لا تلبث أن ترتفع ، فتبدوا الخطايا على المسرح » .

شخصيات هذه القصص ، التقطها الكاتب من واقع الحياة المعيش ، قدمها في أسلوب واقعي بعيدا عن المبالغة حتى لا يعتقد المتلقى أنها من صنع الخيال .

« وحيد » بطل قصة « كلنا خطايا » يكتشف حقيقة عروسه أنها ابنة لأم خاطئة ، وفى اللحظة نفسها يعرف حقيقته ، إنه ليس ابنا حقيقيا لوالديه ، ولكنه ابن بالتبنى فيعرف انه مقهور مثل عروسه ، فينسى كل ما عرفه عنها ، وشخصية أمانى بطلة قصة «المحضر الصغير » تكتشف أن السعادة ليست فى المال إذ كاد يدفعها الى التنازل عن وليدها ، وتفيق من وهمها وتتمسك بولبدها متنازلة عن أى مال لأنه لا يساوى ظفراً من وليدها ، وعبد الخالق فى قصة « جفت الدموع » يرضى بزوجته رفيقة عمره بعدما ضاق بها وبشكلها الذى تغير بعوامل الزمن والمسئولية المنزلية وانبهر بزوجة صديقه الجميلة، الرشيقة، ولكنه يكتشف أنها سيئة السلوك ، فيحمد الله على زوجته الشريفة المحافظة على اسمه ، وكذلك « سهير » فى قصة « صورة أبى» والصورة لأبيها المتوفى الذى يعيش معها ، القصص جميعها كما ذكرت تكشف عن جانب من جوانب الخطيئة عند كل

إنسان ، فعلى الإنسان أن يكون متسامحا ، ولن يتحقق هذا إلا إذا قدر الإنسان خطيئة الآخرين .

اعتمد صالح جودت فى الرواية والقصص القصيرة على السرد السلس الجذاب ، ونلاحظ فى معظم القصص القصيرة لجوءه إلى النهايات المفاجئة بعضها مقبول والبعض الآخر غير مقبول ؛ لأنه يبدو فيها التكلف والصنعة .

صالح جودت أديب متنوع الإبداع فهو يكتب المقالة الأدبية ، والدراسات الأدبية والروايات . والقصص القصيرة . وكل هذه الكتابات تعبر عن أفكاره التى لم يتزحزح عنها ، فقد ظل موقفه الرافض من الشعر الحديث موقفا صلبا ، لم يضطر أبدا للتنازل عن رأيه رغم الصعوبات التى قابلته ، لقد جاءت كتابته صورة صادقة من روحه المتسامحة المحبة للإنسان وبفكره الذى آمن به .

* * *

مجموعة « عظام من خزف »
تضىء جوهر الأدب الإرترى

مجموعة « عظام من خزف » للقاص الإرترى أدريس سعيد من الأدب الإرترى المكتوب باللغة العربية ، والأدب الإرترى شعرا وقصة يشق طريقه الان إلى النور بمجموعة من الأدباء الإرتريين الذين يكتبون باللغة العربية مثل الشاعر احمد عمر شيخ والشاعر عمر كجرأى والقاص إدريس ويرجع ذلك إلى محاولات الشاعر أحمد عمر شيخ لمد جسور التعارف بين الأدباء الإرتريين فى الإمارات وفى الوطن العربى .

وهذه الكوكبة من الأدباء يقدمون فى إبداعهم خصوصية التجربة الإرتيرية النضالية التى امتدت ثلاثين عاما من أجل تحرير الأرض ، وهذه التجربة سيمتد أثرها لأجيال عديدة ، وسيظل إبداع الأوائل الذين عاصروا هذه التجربة النضالية وعانوا من ويلاتها ، وانصهروا فى أتونها وثائق مهمة يرجع لها الدارسون .. وستظل لهذه الإبداعات أيضا قيمتها الفنية مهما يكن فيها من مآخذ فنية مما توجد عادة فى إبداع المبدعين لمواكبتهم تصوير الأحداث فى لحظتها بحرارتها .

ورغم أن التاريخ يعتبر وثيقة مهمة لا غنى للدراسين عنه فإن الأدب له أهميته أيضا لاهتمامه بما يهمله التاريخ ، فهو يهتم بالجانب الإنسانى ، بالمواقف الصغيرة التى قد يهملها التاريخ لأنها لا تلفت نظر المؤرخين ، كما قال عادل القصاص فى مقدمته لمجموعة « عظام من خزف » مبينا دور الأدب وأهميته لا بما هو أدب مسيس ، ولا بما

هو سياسة متأدبة ، فى إعادة إنتاج الواقع الإرترى الذى تخللت تضاعيفه تلك الحرب المديدة بكل ما حملته وأفرزته من تعقيدات وآثار مباشرة كانت أم غير مباشرة . بمعنى آخر أنى لشديد التوجس من أن يترك أمر تاريخ الحرب فقط ، لمباضع المؤرخين (العلماء) التى تختزل واقع الحرب أو بالأحرى الواقع الاجتماعى للحرب إلى وقائع وتواريخ وأرقام ليست موغلة فى البرودة فحسب ، وإنما خالية من أى نكهة للحياة» (ص ٩) .

فالأدب والفن بعامة يمثلان مرجعية تاريخية للدارسين ؛ لأن الأدب والإبداع الأدبى والفنى يعكسان روح العصر ويكشفان عن وجدانه «إن الفن يساعد المؤرخ على فهم إنسان العصر بقيمه ومثله وأخلاقياته وهذه كلها أمور لا نجدها بسهولة وربما لا نجد لها صدى على الإطلاق فى طلبات الوثائق التاريخية التقليدية أو فى كتابات المؤرخين » .

(د، قاسم عبده قاسم ، بين الأدب والتاريخ ص ١٣) .

ومن هنا تأتى أهمية مجموعة « عظام من خزف » وغيرها من الأعمال الإبداعية المواكبة لحدث كبير مثل الحرب التحريرية باعتبارها وثائق تحفظ الحقيقة للأجيال دون زيف بعيدا عن أى مؤثرات سياسية .

قصص « عظام من خزف » إفراز حرب تحريرية طويلة صور فيها الكاتب إدريس سعيد تفاصيل ما حدث فى المعارك وعلى وجه التحديد اللحظات الأخيرة منها .

لم يقف الكاتب عند السرد الوصفي للمعارك العسكرية بأصوات البنادق والمدافع وأزيز الطائرات ، ولكنه بين العلاقة بين المناضلين وتعاونهم والمواقف الإنسانية ، كما كشف عما يصاحب الحروب دائما من آثار سلبية اجتماعيا ونفسيا فى المجتمع الإرترى ، من ضعف بعض النساء ومحاولاتهن الفرار من وجه العدو مما يجعلهن فريسة للسماسرة الذين يبتزون أموالهم وأعراضهم .

وفى الحرب تتكشف النفس الإنسانية على حقيقتها بما فيها من ضعف وقوة فتقدم صورة واقعية مشرفة للمناضلين رجالا ونساء ، الذين ضحوا بأرواحهم فداء للوطن ، وسطروا بدمائهم ملحمة التحرير ، وهذه الصورة الواقعية للحرب نجدها فى جميع قصص المجموعة .

« فارى ناتى » فى قصة « حقل بين حدى سيف » يكتب رسالة لحبيبته يبين فيها حياته فى الخندق : « ما أجمل الحياة فى الخنادق وما أمرها فهى جميلة مع هؤلاء الفتية وهى مرة مع القذائف والأمطار والبرد والجوع ، القذائف تتساقط والأمطار تتساقط ، والبرد أيضا يتساقط طوال الليالى ، ومع ذلك فإن ناموس الحياة هنا يختلف عن الحياة الرتيبة التى اعتدناها ، كم كنت أتمنى أن أراك مع هؤلاء ! البشر هنا سواسية ، ليس هناك مهنة خاصة للمرأة كما هو عند جيراننا (ص ٧٣) هكذا الحرب ، ينصهر الكل فى بوتقتها ، فيصبح الكل واحدا رجالا ونساء ، لأن الأمر أمر حياة أو موت ؛ فلابد أن يتعاون الجميع فى محنتهم : ثم يتحدث « آرى ناتى » عن حلمه فى حياة مستقرة فى ظل

الحرية والسلام » أتذكرين يا حياتي ، عندما قلت لك لا حياة ولا سعادة بدون سلام . لا أعتقد أنك تذكرين هذا الكلام لأنك كنت تنوحين وتتمرغين على التراب من لوعة الفراق ، كان هذا منذ ثلاث سنوات عندما عزمت على حمل السلاح مع أي قوة تجنبنا للمهانة .. عندما تنتهي الحرب وهي لا محالة ستنتهي عن قريب ، سنتزوج ونعيش في الحياة لا تعكرها الشفقة وسرقة الماشية وعساكر الاستعمار الذين يهشّمون جماجم الرجال من أجل الحصول على مغراف الحليب ، المروب أو على كأس من الخمر (ص ٧٣) .

فالكاتب يجسد في أرى ناتي حلم الشباب الإرتريين في المستقبل ، فالحرب بالنسبة لهم طريق إلى حياة جديدة .. من نارها يثبت الأمل في حياة حرة كريمة يترعرع فيها الحب .

وفي قصة « عظام من خزف » يبرز الكاتب مشاركة المرأة الإرترية في النضال « سارة » تصمد وحيدة لصد هجوم إحدى الطائرات ، وتقتل أحد الخونة ، ويرسم الكاتب هذا الموقف تفصيليا حلق سرب من الطائرات على علو منخفض ممطراً الأرض برشاشات الفكرز والقنابل الحارقة أحرقت البساتين وتحولت الأكواخ إلى رماد ، هناك ترامت جثث القرويين مشوهة أمام الخرائب وشويت الماشية والخراف في حظائرها ، صوبت سارة بندقيتها إلى الطائرات الصغيرة التي بدت كأسراب الطيور لكن أصبعها تهدل ولم يقو على ضغط الزناد ، انحدلت أطل الطيار برأسه من الشباك ، قهقه بشماتة استبدلت خزينة

أخرى فتلوى الزناد كما لو أنه افتقد باياته ، قلبت جثث رفاقها التى كـانت متناثرة على أطراف المزارع ، كـان إبراهام يئن حملته على ظهرها ، لكنه فارق الحياة بعد لحظات مددته ، وجلست بالقرب منه قلبت رأسه علها تجد خيطا واهيا من الحياة ، وظلت تقلبه ، لم تصدق، وكيف لها أن تصدق (ص ٥٣) .

ويحاصرها أحد الخونة ، واجهته بشجاعة وقتلته ليس لك مفر استسلمى لا تغامرى بحياتك عبثا هذه التلال مليئة بالجيوش ، وقف وراء ظهرها ، رجل ضخم الجثة تنطق ملامحه بالغلاظة والبله ، وبسرعة المغاوير أدارت إليه وجهها وركزت عليه ناظريها وشرر الغضب يتطاير منها (ص ٥٣) .

رفضت سارة الاستسلام ، وواجهت الخائن بسلاحها ، أغرغت فى صدره الخزينة فحملته قوة الرصاص بعيدا متناثرا قطعة قطعة (ص٥٣) .

الطبيعة هنا تسرى فى وجدان الكاتب ، فهى لها حضور حى فى جميع القصص ، حضور نابض بالحياة يصفها الكاتب بأسلوب محبب لما تحدثه الحرب للطبيعة من تشويه .. إنه عشق وغرام بالطبيعة .. ويتجسد هذا العشق فى أسلوب الكاتب النابض بالحرارة المضمخ بالحب وفى رشاقة الفاظه ، فجاء وصفه للطبيعة لوحات فنية تحتاج لريشة الفنان ففى قصة « عشق الرصاص » يقول : « كانت السماء كئيبة وبدت بقعها التى ظهرت من خلال الغصون كما لو أنها ستهوى

على العباد ، القردة التى تحرس السماء ليلا خوفا من تساقط النجوم على رؤسها ، لم تنم قريرة العين وسقف السماء ينزلق ليصل قسم الأشجار العالية ، قصور القردة المفضلة فى الصيف لكنها عندما يحل الشتاء تقترب السماء يتساقط الرذاذ كدموع عانس ، تنزوى قطعان القردة تحت اقبية الصخور الكبيرة التى هى أوكارها الشتائية ومن هناك تطلق الصيحات كما لو أنها تشمت بأبناء آدم الذين يجرون وراء الحرية والآمان إلى أبد الدهر » (ص ٢٧) .

وفى قصة « وداعاً أيها الخندق » نقرأ هذه اللوحة وصورة حية للإنسان والطبيعة وقت انفجار قذيفة « أيها الرفاق احتموا بالملاجئ . دوى بعضها (القذائف) ما انغرزت على الأرض بعد وميض برقى خاطف ، أما الأحجار التى أحضرت لبناء خنادق جديدة فقد تحولت إلى جير واستقر بعض شظاياها على أعتاب الخنادق ، صرخت العصافير بمرارة تقافزت وقد تهيضت أجنحتها ، ما لبثت أن عادت إلى الأعشاب المحترقة تترنح مؤكدة عنادها الأبدى ، منذ سنوات خلت شدت أسراب من كل أجناس وقبائل الطيور رحالها إلى كل أرض الله وسمائه وهى تنشد زغاريد وداعية حزينة ، وعلى أجنحتها ارتسمت مأساة الهجرة . أما أناشيدها الشجية هذه التى لحنت فى درب اللجوء أدانت كل شىء فى هذا الكوكب ، لعنت من صنع الحرب وسفهت من اخترع المدفع وأحرق الغابات وفى درب العربة تآخت وتآزرت » (ص ١٤) .

وأسلوب القصص شاعرى ويبدو هذا واضحاً فى مقدمات القصص، وفى اللوحات التى يصف فيها الكاتب الطبيعة أى أنه يمكن القول إن الكاتب اتبع الواقعية الشعرية ، التى ترتفع بجفاف الأسلوب الواقعى وما فيه من مباشرة تفرضها آنية اللحظة بما فيها من حرارة وسخونة .. ومزاوجة الكاتب بين الطبيعة والواقع أكسب المواقف التى وصفها نبضا وحيوية .

وفى بعض القصص يبدو واضحاً تدخل الكاتب بالتعليق على بعض المواقف مما أحدث خدشا فى نسيج القصة كما فى قصة « حقل بين حدى السيف » الرجل يكون ذليلاً عندما يحب الحياة قديماً تعامل أجدادنا مع الحياة كما لو أنها قدر مفروض ، فكانوا لا يخشون شيئا ، أما نحن فقد بلغنا حدا نركع فيه لمن يعتقد أنهم يمنحون الحياة ويمنعون الموت (ص ٦٢) .

وفى قصة « عظام من خزف » يقول « ما أعتى إمبراطورية الليل فهى متسلطة ككل الإمبراطوريات البشرية لكنها تختلف فى أن جيوشها لا تتهاون فى أداء مهامها المتمثلة فى التنكيل بأبناء النهار الذين يتحولون إلى حملان وديعة أمام جبروتها ، وككل المؤسسات الفاسدة للإمبراطوريات الظالمة ، يمكن للإنسان أن يدفع ثمن ما تعتقده انتهاكا لحرمات أمنها طالما تشاطره العيش فى هذه البسيطة » (ص ٤٥) .

ويغلب فى القصص استخدام الجمل الفعلية وهذا يخدم المعنى لأنها تستكمل عناصرها فيعطى للقارئ معنى متكاملا لا يترك له مجالا للتساؤل ، تبرز الجمل الاسمية فى المواقف الانفعالية فتاتى الجمل قصيرة متتابعة ، بعض القصص بها أخطاء ، نحوية وربما تكون من عدم دقة المراجعة .

الكاتب إدريس سعيد فى مجموعته القصصية « عظام من الخزف» يقدم نموذجا لأديب الحرب الذى اختلط فيها صوت الحرب مع صوت الإنسان المتطلع دائماً إلى حقه فى حياة كريمة ، فاهتم الكاتب فى قصصه بعلاقات الإنسان بأخيه الإنسان خاصة فى وقت الأزمة ، ويبين أنه فى النهاية ينتصر الإنسان بإصراره وحبه للحياة .

سيظل الأدب هو المرآة الحقيقية التى لا تعكس صورة الإنسان الخارجية فقط ، بل تعكس أحاسيسه ومشاعره التى تكشف أنه إنسان حقيقى .

* * *

الحواجز السوداء

تتكرر فى كل زمن المأساة الأبدية ، قابيل يقتل أخاه هابيل ، تبقى جريمة فردية ، فرد يقتل فردا ، ولكن فى زماننا هذا فرد يقتل شعبا ، فهل يكون للحب فى زماننا هذا مكان ؟ .

سؤال تتوه الإجابة عنه .. ويبقى السؤال حائرا على الشفاه .. ويمتد البصر فى الخارطة العربية بحثا عن الأسباب فيرتد البصر خاسئا دون جواب .. وينفجر الرأس شظايا من هول الصدمة التى شرخت القلب العربى الذى راح يتعلق بكل قيم الدين والتاريخ للمّ الصف العربى، الهوية العربية ، التى تنتصب قوية فى لحظات الشدة ، حفاظا على الوطن .. الأرض ، الإنسان ، ليلتئم الجرح ، ويعود الوجه العربى كما كان صافيا ، هوية الإنسان هى طوق النجاة عندما تصطرع الأمواج .

تنفجر كل هذه الأفكار فى المجموعة القصصية للكاتبة الكويتية ليلى العثمان « الحواجز السوداء » استطاعت الكاتبة التى شغلها الحزن أن تعبر عن مأساة الغزو العراقى لوطنها الكويت بحساسية فنية تعتصر الحزن ، إرادة قوية متحدية الحواجز السوداء التى تبغى امتهان الإنسان الكويتى ، ولكن هذه الحواجز تحطمت أمام صمود الإنسان الكويتى ، الكلمات رغم رهافتها دبابيس تنغرز فى القلب توخز القارئ ليفهم عمق المأساة التى عاناها الإنسان الكويتى والإنسان العربى على امتداد الوطن العربى .

ليلى العثمان تتصف كتاباتها بالصدق ، وتجسيد المشاعر فى صورة فنية شاعرية ، إن صدق الكاتبة فى وصف دقائق النفس البشرية وإخلاصها لفنها كما يقول عبد اللطيف أرناؤوط فى كتابه « ليلى العثمان رحلة فى أعمالها الكاملة » يجعل آثارها الفنية أعمالا نموذجية قابلة للتحليل ؛ ذلك أن الكاتبة المبدعة لا تخط على الورق إلا ما تشعر به أو يتململ فى نفسها بصدق ، فمادة أدبها وثائق مفيدة للدراسات الأدبية والنفسية » . وقد اتضح ذلك فى قصص هذه المجموعة التى استطاعت الكاتبة بالصورة الفنية أن تجسد المأساة ، وتبرز صمود الإنسان الكويتى .

الكويت وطنا ، بيتا ، إنسانا ، ذكريات تتحرك عملاقة تتمثل فى الإنسان ، فى الكلمة ، هذا ما عبرت عنه ليلى العثمان فى قصص هذه المجموعة ، صاغت ألفاظها من مشاعرها ، من الحزن الذى تستسلم له المدينة ، « لم تستسلم المدينة لحزنها ، ولم تفقد عزمها القديم ، فى خلال أيام كانت أرحام الأمهات الباسلات تتواصل ، وسواعد الشباب النضرة تتواصل ، وأكف الصغار المشحونة بالغضب تتواصل ، وقلوب العذارى النابضة بربيعها تتواصل ، وعزائم الرجال الشائبة رؤوسهم تتواصل ، وأقدام العجائز المحناة بطين الأرض تنفض عجزها ، وتتواصل ، أمواج البحر بعشوق النخلات الحبلى تتواصل ، الرمل والعشب رؤوس دبابيس تتحول وتتواصل ، حمامات البيوت الزاجلة تفرد أشرعتها وتتواصل ، كل شيء تواصل حتى غدت المدينة الواسعة

ومناطقها القريبة والبعيدة قلبا واحدا يقسم : أن لا مكان للجراد » (ص ٣٧) .

وينكشف الرمز المقصود بالجراد حين تقارن الكاتبة بين الجراد الحقيقى الذى كانوا يصطادونه ، وبين الجراد الرمز للغازى العراقى ، وينغرس الإنسان الكويتى فى رمال وطنه وإرادة شامخة تأبى عند الكثير أن يتركوا الكويت ، وينطلق السؤال حائرا فى ص ٧٦ :

« لماذا نهاجر وإلى أين ؟

« وبصرخ الطفل فى وجه أمه

« لا أريد أن أسافر : أريد الكويت

« وتظل الكويت فى قلب الطفل يرى قمرها فى كل مكان يرحل إليه:

« آه يا قمر الكويت

« يذكرك :

« هذا قمر عُمان

« لا هذا قمر الكويت . يبحث عنى يجىء أجمل وأبهى

« وتغتسل المشاعر فى البحر ، فى ذكرياته ، فأبو صالح يعشق البحر ، يتجشأ زفرة ، فى الأماسى يرتحل إليه سائرا قاطعا شارع الأسفلت الحديث ،. لا تتآلف خطوته مع الأرض حتى تلامس » (ص ٧٨) .

هو البحر يقرأ أبو صالح أمواجه سطرا سطرا ، تكشف له عن السر المخبوء فى الغيب ، يعلن عن الملأ نبوءته : « سيشتعل البحر ، والناس تحمل أمتعتها ، ويضحك منه الناس ، ويظل يحكى ، وهم يضحكون ، لا يصدقون ، ويظل يحكى ، حتى تتحقق النبوءة ، ويشتعل البحر فعلا ، ويحمل الناس أمتعتهم فارين من النار ، وكم نبههم ولكنهم لم يصدقوه :

- لا تشكّو بكلامى . والله أشوف البحر يشتعل ، والناس شايلها شلايلها (أمتعتها) وتطير » (ص ٨٨) .

وظل الناس لا يصدقون أبا صالح حتى وقعت الواقعة ، ورجت الأرض رجا ، واشتعل البحر فعلا ، وفر الناس ، إلا الآباء والأجداد ، الذين رفضوا مغادرة الكويت .. لمن يتركون البحر ، لمن يتركون الأرض، وتحملوا العذاب والتنكيل رجالا ونساء .

البحر الصدر الحنون ، الذى يلجأ إليه الإنسان فى فرحه وحزنه ، فهو حياته وذكرياته ، ضياعه ضياع لعمره ، وبقاؤه بقاء لحياته » عاد البحر .. أخيرا عاد .. قلبك يعلنها ، تريد أن تصرخ بها ، أن تشهد السماء على الأمل المولود ، ترفع رأسك ، تلمح طيور النورس فاردة أجنحتها فى الأفق ترقص وكأنها تحضن الفضاء ولأول مرة ، تعلو ، تهبط ، تعانق الموج ، تباركه ، تسمع ضحكتها وتغاريدها ونداءاتها تحسبها تهنؤك بعودة البحر معافى رغم الخراب المنتشر على امتداد السواحل وقلب المدينة وأذرعتها وعمقها كله . كفك تهرش الرمل ،

تسطر الكلمة ، تحفرها ، وعاد البحر ، وعاد البحر » (ص ٣٣) .

وهجم الجراد وأكل كل شيء ، وكانت الصدمة ، والدهشة ، واللعنة ، والحزن ، والمقاومة ، وينتفض اسم الكويت عملاقا يزلزل الأعماق فلا يعرف الإنسان الكويتي إلا الشهادة ، لتشهد رمال الكويت أنه لم يستسلم ، وكان التحدي رغم القتل والتنكيل ، فامرأة تحبس نفسها سبعة شهور تحديا حتى يتحقق النصر « » حلفت يمينا سبعة شهور حبست نفسي في البيت ، لا أخرج إلا الى البحر أغتسل وأصلي ، ولو أموت الآن لا يهمني تستدير عنك ، تبتعد مخلفة رائحة ملحها وارتياحها ودعائها وصوتها بحرارة » (ص ٣٦) .

نهب واغتصاب لكل شيء يقع في طريقهم ، للزوجة أمام زوجها وأولادها ، فهذه أم تنصح ابنها أن يختفي ، ولا يظهر أبدا مهما فعلوا بها حتى لا يقتلوه ، ويرى الابن اغتصاب أمه « المشهد أمامي ، أنظر من خلال فتحة التكييف الملوثة بالغبار القديم ، وأنا ابنها العاشق لا أتحرك ، لا أجرؤ أن أقاتل وأدفع عنها أذى الأنياب ، لست ضعيفا ، لكنه صمودي المقهور الذي يحقق لها الراحة ، هي لا تريدني أن أموت ، ربّما لا أريدها أن تموت حزنا علي ، تمسكت بتحذيرها » (وجه الأب ص ١٥) .

وتزلزل الشاب كلمة والده « عسى الولد ما شاف شيء ؟ أعرفه شهما ويحبك ، إن كان رأى لما تواني عن الدفاع عنك » (ص ٦٥) .

ويحطم الابن سور التحذير « لا تكبلي أقدامي ، لن أتردد ، ليكن الحزن أليما . لا بأس أن يأتيك جسدي ملفوفا بقماش ملون . أحمر بلون دمي ، أخضر بلون نخلتنا ، أبيض بلون قلبك ، أسود بلون حقدنا المولود » (ص ٧٥) ويخرج الابن « الليل أسود يهوم حزينا . السماء مبللة بالغبش . هي رطوبة آب اللعين ، خطوتي الأولى مترددة ، والثانية تمتد ، الثالثة تثب ، الرابعة تقفز ، الخامسة تنطلق ، السادسة تطير تبحث بإصرار عن وجه ذئب أغتصب أمي » (ص ٧٥) .

وتقارن الكاتبة بين الجراد الحقيقي الذي كانوا ينتظرون موسمه لاصطياده وبين الجراد / الرمز / العدو الذي تفزع منه المدينة ، « مدينتنا اليوم تفزع ، ترفض قدوم الجراد ، وتخشاه وتبتلع صرخات الذهول والعذاب ودموع الجروح المفتوحة تستغيث طالبة الرحمة ، والنجدة للعروس التي اخضرت صحراؤها واتسعت شواطئها ، وتزايد خيرها ، ولم يعد للجراد موقعة في القلب أو الأحشاء » (ص ٣٧) .

شوه الغزو العراقي كل شيء جميل في الكويت ، مواسم الفرح ، البحر ، الذكريات ، ولكن لم تستسلم المدينة للحزن ، بل جمع أهلها شتات نفوسهم ، وواجهوا العدوان ، رجالا ونساء ، ويعلن أبو صالح العجوز المقاومة النفسية المتحدية للعدو برفض ترك الأرض ، والتمسك بها لأنها عمره ، تاريخه ، كان أبو صالح رمزا للشباب في المقاومة ، كانوا يستمدون منه قوة تثبت أقدامهم ، وإيمانهم ، وفعلهم . لم يخطئ يوما ويعلن أن الأرض تزول إلى الأبد . دائما ، حتى

وهو يمضغ لقمته ، يردد الكويت لأهلها بين وقت وآخر يفتقدونه في البيت ، يدركون دون سؤال أن الحنين يتلاعب بقلبه فيغادر إلى بيته القديم ، يتشمم عطره ، يتفقد تاريخه ويقلب أغراضه هناك يبكي أكثر حرية ، يصلي ، وينام أياما ثم يعود » (ص ١٠١) .

ويستمر الغضب التنفيسي « انفجرت قاذفة دمامل الوجع الثابتة كالشوك بداخلي . لم أعبأ بحرسهم حول سفارتنا يرتعون خطواتي الراكضة بفرح الفراشات . صرخت « تعيش الكويت حرة يا كويت . وحين وصلت باب السفارة سجدت ، بكيت ، توضأت ، برائحة بلدي . ورفعت العلم ، هتفت ، غنيت ، ولم أهتم للعيون التي تلاحق فرحي » (ما يزال الحداد قائما ص ١١٣) .

لقد ترك العدو كل شيء في الكويت خراباً تركوا كل شيء . الخراب، الموت ، حسرات القلوب ، والحرائق والصحراء المزروعة بالألغام تنتظر عثرة طفل ، قدم عجوز وشوق امرأة لبيت شعر . الأسلحة الثقيلة والخفيفة تلبد في كل مكان . رغم نشوة النصر تخاطفته الأيدي ، خبأته في البرك ، والمخازن ، وسراديب البيوت ، ربما بانتظار عدو آخر مجهول !! فالليل ما زال يفرش عباءته السوداء رغم أغنيات الفرح والتحرير ، وهطول العاشقين من المنافي يقبلون الأرض والأطفال الصامدين ، ما يزال حداد الأمهات والزوجات ، والنفط ما يزال يدفق حريقه الأسود إلى الصدور بانتظار أن يزفره ذهبا إلى أحضان الأصدقاء » (ما يزال الحداد قائما ص ١١٦) .

ـ ولم ينهزم الإنسان أمام المدافع والحواجز المغروسة فى كل مكان ، وقد آثرت الكاتبة أن تعطى صورة تسجيلية مباشرة ، من خلال الحوارات لتبين كبرياء الإنسان الكويتى ، وعدم استسلامه ، ومقاومته، العنيدة التى لا تخضع للعدو رغم العتاد الرهيب ، صورت الكاتبة ذلك فى قصة « حواجز مختلفة الوجوه » فى كل حاجز تكشف عن مواجهة مباشرة مع العدو ، وتعنى بها مواجهة الإنسان الكويتى مع العدو ، ومع نفسه هل سيضعف أم سيصمد ، ليحمى كبرياءه ، وأرضه .. ليثبت للعدو أنه لن يهزم الإنسان ، هذا هو الإنسان الكويتى ، رجالا ونساء ، الكل يقف في مواجهة مباشرة مع الغازى ، ليثبتوا أن الإنسان الكويتى لن ينهزم ، وأنه يمتلك إرادة التحدى مهما كانت هذه التحديات ، فهذه امرأة كويتية تتشبث بهويتها الكويتية أمام الجندى العراقى فى نقطة التفتيش الذى يحاول إذلالها وفرض الجنسية العراقية فينفجر داخلها متحدياً « أحسست قلبى يبكى ذلك الزمن الذى مضى قبل انتشارهم كالفئران فى مدينتى ، لم يكن يهمنى ماذا أكون ، عراقية ، أردنية ، لبنانية ، أى شىء كنت عربية تختلط كل دماء العرب بعروبتى ، لكننى أنفر أن أكون إلا كويتية . هذا الإحساس يمزقنى ، ليته الكلب يفهم ، ويتركنى أفخر ولو للحظة أمامه متحدية غضبه وسلاحه ، أننى كويتية ، أننى أسيانة لحد الموت أن أتنصل من عروبتى التى تشوهت ، لكنه بصلابة يصك على أسنانه ، يلقى بالبطاقة ، يدوس عليها ، يسحكها » على الأسفلت . النذل سحق وجهى تحت أقدامه (ص ٢٥) .

● الجوانب الفنية :

الحزن يصيب الإنسان بشفافية تتجلى فى رؤيته المستقبلية وحساسية شديدة تبدو فى اختياره أداته التعبيرية وليلى العثمان فى هذه القصص حزينة ولكنه حزن مشحون بالغضب والرفض ، والتحدى ، ولكنها لم تفقد شفافية الرؤية المستقبلية المؤمنة بالنصر كما فى قصة «البطاقة» الطريق أمامى رغم الحواجز والآلام تتسع ، أنظره بالمرآة الصغيرة واقفا مكانه .. يصغر .. يصغر .. حتى يتلاشى» (ص٣٠)

ـ الأسلوب شاعرى ترسم به الكاتبة لوحات فنية ، فلتقرأ هذه اللوحة من قصة « وعاد البحر » التى تعبر فيها عن فرحة النصر والعودة أخيرا عاد قلبك يعلنها تريد أن تصرخ بها ، أن تشهد السماء على الأمل المولود ، ترفع رأسك ، تلمح طيور النورس فاردة أجنحتها فى الأفق المعتم ، ترقص وكأنها تحضن الفضاء لأول مرة تعلو ، تهبط ، تعانق الموج ، تباركه ، تسمع ضحكتها وتغاريدها ونداءاتها ، تحسبها تهنؤك بعودة البحر معافى رغم الخراب المنتشر على امتداد السواحل وقلب المدينة وأذرعها وعمقها كله . كفك تهرش الرمل ، تسطر الكلمة ، تحفرها « وعاد البحر » بضعة أعشاب طازجة مستريحة بقربك . تلملمها ، تزين بها الكلمة المحفورة ، تبدو أجمل .. أجمل .. تود لو تحملها برفق وتغرسها داخل قلبك حتى لا يطالها الموج ويحسمها ، تسيج الكلمة بالأصداف الحصى ، تحس دفأها يحنو

عليها ، يمزق جدران الحزن ويفتح بوابات الأعراس قادمة (دعاء البحر ص ٣٣) .

- تضمين القصص بالمأثورات الشعبية التي تتلاحم مع نسيج القصة مما يعطي القصص عبقا تاريخيا يحرك الوجدان ويفجر ذكريات الماضي فيزداد الإنسان الكويتي تمسكا بتراب وطنه .

- دقة اختيار الكاتبة للمواقف التي صاغت منها القصص ، المواقف فيها حدة تبرز التحدي للغازي فهذه امرأة تحبس نفسها سبعة شهور وأقسمت ألا تخرج إلا بعد تحرير وطنها « حلفت يمينا ، سبعة شهور حبست نفسي في البيت ، لا أخرج إلا إلى البحر ، أغتسل ، وأصلي ، لو أموت الآن لا يهمني ، تستدير عنك ، تبتعد مخلفة رائحة ملحها وارتباطها ودعائها ، وصوتها بحرارة » (ص٣٦) .

وهذه امرأة أخرى تتحدى عسكر الغازي المنتشرة في نقط التفتيش المنتشرة في شوارع الكويت ، تتحدى قوته الغاشمة ، عقله الغبي ، وتعلن تمسكها بهويتها الكويتية التي لا ترضى بغيرها بديلا .

- في قصة « وجه الذئب » يغتصب الجنود الغزاة أمًا تحت سمع وبصر الزوج والابن ، ولا يتحرك الزوج ، ولا الابن خضوعا منه لنصيحة أمه خوفا عليه من الموت ، ويشهد الابن اغتصاب أمه ، وظل في مخبئه يحرقه الحقد والصراع بين مهاجمة العدو وبين الخضوع لنصيحة أمه . وفعلا يمسك نفسه ، ثم بعد ذلك بعد ما رأى أمه

ممصوصة منكسرة تأخذه الحمية ويأخذ البندقية ويبحث عن وجه ذئب اغتصب أمه ، والكاتبة فى هذا الموقف لم توفق إذ كان من الأفضل والأقوى أن ينتفض الابن فى لحظة الاغتصاب انتقاما لأمه ، ولأبيه .

- أبرزت الكاتبة دور المرأة الكويتية فى المقاومة ، ووقوفها متحدية الحواجز السوداء المنتشرة فى شوارع الكويت ، وفى التحريض على المقاومة ، وفى تمريض الجرحى . وتمسكها بهويتها الكويتية ورفضها أى هوية أخرى .

- فى قصة « طاقة » تبين الكاتبة اعتزاز الانسان الكويتى رجلا وامرأة بهويته لأنها وجوده ، وهذا جميل ، ولكن لا يؤدى هذا إلى التنصل من العروبة ، صحيح أن غدر الأخ قاس وشديد لكن لا يؤدى إلى التنصل من هويتنا العربية تحت أى ظرف من الظروف خاصة وأن باقى الإخوة العرب لم يقفوا مكتوفى الأيدى بل هبوا للدفاع عن الكويت ، ولكن أعتقد أن ما لفظت به إحدى الشخصيات فى قصة « قولها » أحسست قلبى يبكى ذلك الزمن الذى مضى ، قبل انتشارهم كالفئران فى مدينتى ، لم يكن يهمنى ماذا أكون : عراقية ، أردنية ، لبنانية ، أى شىء ، كنت عربية تختلط كل دماء العرب بعروقى ، ولكننى اليوم أنفر أن أكون إلا كويتية . هذا الأحساس يمزقنى ، ليته الكلب يفهم ، ويتركنى أفخر ولو للحظة أمامه متحدية غضبه وسلاحه ، أننى كويتية ، أننى أسيانه لحد الموت أن أتنصل من عروبتى التى تشوهت ، لكنه بصلابة يصك على أسنانه ، يلقى بالبطاقة على الأرض ، يدوس عليها ليسحكها على الأرض » (ص٢٥) .

هذا الرفض للعروبة أعتقد أنه موقف انفعالى من هول الصدمة ، ما تلبث أن تعود إلى عروبتها بعد عودة النصر .

الحزن يفجر شتى المشاعر المتناقضة ، الحب والكره ، القبول لبعض الأفكار والرفض لبعضها الآخر ، ولكن لا يبقى فى النهاية بعد زوال الحزن ، وأثر الصدمة إلا ما رسخ فى وجدان الإنسان من أفكار صحيحة هى البوصلة التى توجهه الوجهة الصحيحة وتحفظ توازنه فى وجه العواصف فلا تقتلعه .

وهذا ما صورته الكاتبة ليلى العثمان فى هذه القصص ، لجأت إلى كل العناصر الأساسية : الأرض ، الذكريات ، التراث المكونة وجدان الإنسان الكويتى المحرضة له على الانتفاضة دفاعا عن شرفه ووطنه .

* * *

بثينة خضر في مجموعتها « أشباح المدن »

حب الوطن وتطلع لانطلاق الإنسان إلى آفاق أرحب

تصور قصص الكاتبة السودانية بثينة خضر مكي في مجموعتها الثانية « أشباح المدن » البيئة السودانية تصويراً دقيقا ينقل القارئ إلى شوارع السودان وحاراتها في المدينة والقرية وناسها بلهجاتهم ، وسلوكياتهم ، التي تجعل القارئ يعايشهم كأنه واحد منهم ، وقد أشار الدكتور الطيب زروق إلى هذا بقوله « نلاحظ اهتمامها - أي - الكاتبة البالغ بتصوير الحياة القروية السودانية الأمر الذي يبدو وكأنها قد أمضت فترة كبيرة من عمرها في ربوع ذلك الجزء من الوطن السوداني» (المنتدى العدد ١٤٩) .

الكاتبة تعالج في قصصها قضايا اجتماعية منها التعليم والفقر والطلاق كما في قصة « الجرس والدلو » ، الذات والألسنة » والتي تكشف عن سبب حرص رقية « على علاقتها بود زكي » لتتزوجه ليكون لها سترا من ألسنة الناس كامرأة أرملة ، ولقد عالجت الكاتبة معاناة المرأة الوحيدة في قصة أخرى نشرت في (مجلة المنتدى العدد ١٤٨) وفيها تبين أن الأمن للمرأة أن تعيش في ظل رجل ولا تعيش مطلقة يمارس عليها المجتمع ساديته .

كما أنها قدمت صورة رائعة لتضحية أهل القرية أيام الفيضان الذي يجتاح في طريقه كل شيء ، كما في قصة « الفيضان » التي تستهلها الكاتبة بوصف الفيضان « الماء يحيط بالقرية الصغيرة من

كل جانب . يتطاير الزبد من بين أشداق الثائر ، ويتعالى صوته هادرا حين يضرب ، بعنف ، التحصينات التى صنعها الأهالى من جوالات الرمل والخرق البالية لتحميهم من غضب النيل (ص ٥) .

ويتعاون أهل القرية رجالا ونساء وأطفالا لحراستها من الخطر ، وتتناوب الشباب الحراسة وفى الليل زمجر النيل ، وهاجم السد المقام ، وفشلت محاولات إيقاف تدفق الفيضان ، فيسد الشاب الفجوة بجسده وعند الصباح الباكر .. استقبلت القرية صرخة حادة .. تنز بالحزن والألم .. أطلقها مصطفى .. بينما كان خلاد متكوما على نفسه ميتا .. يسد بجسده الهامدة فجوة صغيرة برزت وسط المتاريس التى تحمى القرية » (ص ٧٨) .

● **المكان والشخصيات :**

ترتبط الشخصيات بالمكان ارتباطا نفسيا واجتماعيا ، فالكاتبة تحرص على وصف بيئة شخصياتها وصفا دقيقا واقعيا لتوحى بمستواها الاجتماعى ، ومدى تقبله لهذه البيئة أو تمرده عليها ، ورغم هذا يرتبط بها ارتباطا يجعله متعلقا بها .

ونتبين هذا مثلا فى قصة « الجرس والدلو » التى تبدؤها بوصف المكان الذى تعيش فيه بطلة القصة « تمطت وهى تتثاءب فداهمت أنفها رائحة الأرض الممتزجة برائحة روث البهائم والدجاج ورائحة جريد النخل الذى يشكل جزءا من السقف المتهالك ويلون بالظل سماء الغرفة التى تنام خارجها » (ص ٥) .

فالكاتبة من بداية القصة تبين مستوى بطلة القصة الاجتماعى، والذى كان له الأثر فى عدم إتمام تعليمها ، لأن عمتها منعتها من الذهاب إلى المدرسة عندما رأت أنها لم تتعلم القراءة ، وتناست أن سبب ذلك هو انشغالها فى أعمال البيت .

وفى قصة « الذات والألسنة » تبدأ أيضا بوصف للمكان « كان جالسا على سرير واطىء تباعدت قوائمه وتساقطت بعض الحبال التى تمثل جزءا من النسيج المصنوع به ، على الأرض ، أمامه صفيحة فارغة وضعت بصورة أفقية ، فوقها مخدة متسخة عليها خطوط سوداء ولها لون كالح يبدو أنه كان فى يوم من الأيام أحمر زاهيا ، فوق الصفيحة كان يمد ساقه المتورمة وقد بدأ السواد يغطى نصفها » (ص ١٠) .

الكاتبة بثينة خضر تكتب بريشة ، فهى ترسم بالكلمات دقائق الأشياء فى المكان ، وتجسده تجسيدا لونيا كما فى هذه اللوحة التى ترسمها لرقية وهى جالسة على رصيف المحطة « تجلس على كرسى يضعه لها خارج المكتب الصغير وترتكز بساعدها على حافة (الدسك) وتسند رأسها بكفها ، وتضحك وهو يحادثها فى موضوعات مختلفة حتى تلحق بها رفيقاتها حاجة عرفة وخديجة وبنت محمد يجلسن يثرثرن فى غير انتظام ويتضاحكن » (ص ١١) .

ولننظر إلى وصفها لحركة الناس على رصيف المحطة « والمسافرون يحشرون رءوسهم فى نوافذ القطار ويشترون الطعمية

والرغيف والبيض المسلون وثياب الدمور البيضاء التى اشتهرت بها تلك المنطقة . ورقية تخب وتكثر خطواتها جيئة وذهابا ، وبيدها تلوح للمسافرين مثل فرع من الجريد فى نخلة شامخة تارة تحمل طاقية حمراء وتارة تحمل هبابة أو منديلا مطرز الأطراف » (ص١٢) .

وفى قصة « تحت ظلال الفانوس » تبدأ القصة بوصف المكان « تعلقت الزينات فى الأشجار وأسلاك الكهرباء وعلى جدران المنازل القريبة تحيط منزلنا بالبهجة بينما يستحم ضجيج الشارع فى الموج الموسيقى الزاخر الذى تصدح به فرقة أضواء المدينة » (ص ٣٥) .

وفى قصة « البائعة » تستهل الكاتبة القصة برسم صورة لصفاء فتقول « وضعت صفاء الأوانى التى كانت تحملها على الأرض وأخذت تعدل من وضع الطرحة على رأسها الصغير ، ولكنها قبل ذلك انتهزت الفرصة لتبع فروة الرأس حكاً بأظافرها وطرف أصابعها الخشنة المتشققة ، ثم أخذت تخب خلف أمها التى تحمل مجموعة من قدور الطبخ الممتلئة بالطعام وبيدها اليسرى تحمل كيسا يحتوى على بعض الصحون والملاعق الكبيرة التى تستخدمها فى غرف الأكل وتقديمة» (ص ٤٥) .

فالكاتبة تصف بؤس شخصياتها وبؤس المكان كأن كليهما يعكس بؤسه على الآخر .

- **الجانب الفنى :**

ـ قصص المجموعة تغلب عليها القصة اللوحة ، ومثل هذه القصص تتطلب التركيز والأسلوب الشاعرى ، وقد وفقت الكاتبة فى كتابة هذا اللون فى بعض القصص .

ـ اهتمام الكاتبة بالوصف أوقعها فى المباشرة والإطناب أحيانا مما أضعف بناء القصة ، ويتضح فى قصة « أشباح المدن » التى أتفق مع الدكتور الطيب زروق فيما قاله عنها كأنها وقعت فى مطب السرد البيولوجى ، (المنتدى العدد ١٤٩ أ ص ٦٣) .، حيث نرى الكاتبة تتحدث عن حياة شخصية القصة نوين .

ـ استخدمت الكاتبة الفولكلور الشعبى السودانى ، كما استخدمت فى قصصها اللهجة السودانية ، وكذلك أسماء الأماكن والأدوات المستخدمة . وكان على الكاتبة أن تشرح معنى الكلمات أو الأدوات المستخدمة .

الكاتبة بثينة خضر تكتب بحب شديد للوطن ، لترابه ، وإنسانه ، مازجة بين الإنسان والمكان ، فى وصف تحليلى يكشف عما يمور فى أعماق الإنسان من انفعالات ، مؤمنة بإرادة الإنسان لتحدى الظروف لتحقيق ذاته .

* * *

سندباد فى رحلة مؤجلة

تنويعات مأساوية على لحن هموم المرأة والتخلف الحضارى

الكاتبة السورية جمانة طه فى مجموعتها « سندباد فى رحلة مؤجلة » مهتمة بهاجسين :

١ - التخلف الحضارى على سلوك الأفراد الآن رغم ما وصلوا إليه من تعليم .

٢ - مشاكل المرأة ومعاناتها وهمومها كأنثى فى هذا الزمن الذى يقولون إنها حصلت فيه على قسط كبير من المكاسب يؤهلها لشق حياتها بثقة واستقلالية .

لقد تحدث الدكتور شاكر مصطفى فى تقديمه للمجموعة فقال « إن المجموعة نسائية كلها ، أبطالها ، طيوفها ، أشجانها ، حكايتها كلها للجنس الآخر . إذا طلقت وإن أصبحت مقعدة أو تزوج عليها زوجها أو عاشت وحيدة ، حتى وإن ركبت الباص . أنت هنا فى الحرم النبوى تقرأ آلامه فى نجوى الغرف المغلقه ، سرية البكاء بغير دموع ، خفى المشاعر عندها تضج معلنة الرفض ، الرفض للأسر ، لعذاب الأم ، لقيود المجتمع على العواطف ، بل حتى لتلوث الشاطئ وأقذار الزقاق ، القصص كلها أشبه ما تكون مشاهد من مسرحية واحدة تحاول أن تبكى مأساة المرأة الشرقية بأشكالها » (المقدمة ص ٧) .

هذه القصص صرخة فى وجه تناقض المجتمع الذى - رغم ما حققه من تقدم - مازالت نظرته إلى المرأة هى نظرة متخلفة . فالقيود مازالت توضع على سلوكها وكأنها قاصر لم تبلغ الرشد بعد ، صرخة للمحافظة على شخصية المرأة ورونقها فهى زهرة المجتمع إذا وجدت الرعاية يفوح عبيرها بالحب والإخلاص والعمل البناء المفيد للمجتمع .

بالنسبة للسلوك الفردى الحضارى كمظهر من مظاهر تقدم المجتمع يتجسد عندها فى كيفية تعامل الإنسان مع البحر كمظهر من مظاهر الطبيعة المعبر عن الصفاء ، والنقاء ، كيف تغير البحر الآن ، لقد شوهه التجار الذين استثمروا ماءه ورمله وصخره كما فى قصة هلوسات بحرية « ابتسم بألم » الذكريات تثير فى دواخله الحزن الدفين لو يستطيع أن ينقل إلى أولاده صور هذا الماضى . لو يستطيع أن يجعلهم يحيون البحر كما هو فى ذاكرته ، أزرق الثوب أبيض الحواف تنتناثه ذهبية ورمادية وبنية ، لا كما هو اليوم مطرز بالمحارم الورقية وغيرها من الفضلات . عندما كان الناس على الفطرة ، كان تعاملهم مع كل شىء أكثر رقياً وتحضراً . واليوم بعد أن تعلموا تراجعت القيم وسكن التخلف عقولهم وتصرفاتهم » . (ص١٨) . إنه أمر عجيب حقا ويدعو للدهشة والتساؤل .

وهنا تثير الكاتبة إشكالية العلاقة العكسية أو المتناقضة بين الإنسان وسلوكه .

إنســـان فطــرى ـــــ سلوك راق

إنســـان متعلــم ـــــ سلوك غير راق

وهذا يرجع إلى وقوع الإنسان الآن تحت تأثير عوامل اجتماعية جديدة أثرت فى سلوكه وقيمه ، وحولت الكثير من البشر إلى أناس وصوليين يبحثون عن الثراء والشهرة بأى وسيلة . وبالتالى يؤثر ذلك على القيم الخلقية والجمالية فى المجتمع فيغيرها ويشوهها .

فالبحر عند الكاتبة يمثل مجموعة من القيم والسلوكيات التى تدل على إنسان الماضى الذى لن يعود « هو يعرف أن البحر الذى ألفه فى الماضى قد انتهى ولن يعود . فالشطار احتكروه ، استثمروا ماءه ورمله من الذين باعوه لكل من يملك الثمن . وبقى البحر حسرة فى صدور أمثاله من الذين تفتحت مساماتهم على نسيمه وتخرشت جلدهم بملوحته وشمسه » (ص ١٨) .

وتواصل الكاتبة رحلتها فى قلب المجتمع ، بل فى قلب إنسان اليوم الذى يحزنها ما وصل إليه من تخلف سلوكى ، ففى قصة « صور فى البال » تجعل الباص وسيلتها للغوص فى أعماق المجتمع حيث ترى الناس على طبيعتهم ، فكيف ترى اليوم إنه ليس كباص الأمس ، فهو الآن مزدحم ، ليس نظيفا « وصلت إلى موقف الباص . حين جاء منطلقا بسرعة ووراءه غمامة سوداء من المازوت المحترق ، كدت لا أركب . لم يكن باص الزمان الماضى هكذا . كان أنظف ، وكان الركاب أقل عددا والمدينة أكثر بساطة وأناقة . كل شىء فى الماضى

كان يبدو مشرقا . ترى هل كانت تلك الأيام مشرقة حقا أم أن ربيع العمر هو الذى يهب المفردات ألقها » (ص ٤١) .

وتبين الكاتبة أن الحضارة ليست في المظهر الشكلى ، والماديات، والبنايات الشاهقة ، ولكن الحضارة فى سلوك الأفراد ، فهذه حسناء تركب سيارة فاخرة ، ومظهرها أنيق ، ولكن « عندما سمحت ليدها أن تلقى بعض القاذورات إلى الشارع أدركت أن أناقتها لم تتعد الشكل الخارجي . أما أعماقها فهى بعيدة عن الحضارة والأناقة. حزنت . أغمضت عينى . لفحنى أريج الماضى . الخواطر تحط على عقلى وقلبى دون استشارتى ، تأخذنى بعيدا إلى فترة أمضيتها إلى جانب زوجي فى بلد أوروبى حيث الحضارة تتجلى بكل أبعادها الإنسانية . فى أخلاق الناس وتعاملهم فى النظافة العامة ، فى النظام وفى مراعاة حقوق الآخرين » (ص ٤١) .

إنها تعنى الضعف الحضارى المستشرى فى جسد المجتمع وتبين أننا أصحاب حضارة صنعناها نحن بأنفسنا « كانت حماستى فى نقل بعض اللمحات الحضارية إلى وطن تعادل كبر الوطن فى صدرى . كنت أعرف أن الحضارة موجودة فى بلدى لكنها تقف على رأسها وتحتاج إلى من يوقفها على قدميها ، وهل يستطيع فعل هذا غير الشباب الناضج المتعلم » (ص٤٢) .

وإيمان الكاتبة بحضارتنا هذه جعلها سفيرة لوطنها فى البلاد

الغربية ، تدفع عنه وتصحح المفاهيم الخاطئة لدى الغربيين ففى قصة «مدينة ووجوه » تصحح لصديقتها الغربية (أولد فيلد) نظرتها إلى العرب « فى البداية عانينا من نظرة هذه السيدة للعرب وبيئتهم ، ومن الأفكار السوداء عن حياتهم وحضارتهم فهم فى رأيها قوم متوحشون بداة حفاة يركبون الجمال ، يعيشون فى الخيام ويأكلون عيون الشياة » (ص٧١) .

وبالحوار الواعى استطاعت بطلة القصة أن تغيرّ وجهة نظر المرأة الغربية ، مثل صديقتها (أولد فيلد) و آرستون .

« لم تطل بنا المدة لنجعل السيدة ، آرستون تخفف من غلوائها كما نحن فى الحقيقة لا كما صورتنا الدعاية الصهيونية » (ص٧٢) .

وتطرح الكاتبة فى القصة تساؤلا « ماذا ينقصنا حتى نتصرف كالأمم المتقدمة ، إننا نملك الإرادة والعلم والمبادئ ، ولكن .. لماذا نكره النظام ، ونتمرد على الإلتزام ؟ لماذا لا نحرك المثل فى أعماقنا ونرفض الفوضى والقذارة ؟ لماذا لا نغتال قلة الذوق وعدم الكياسة ؟ لماذا لا تتحرك هذه الجموع المنتشرة على امتداد موقف الباصات وتنظم صعودها ونزولها .

وتذكرنى هذه القصة بقصة للأديب المصرى الراحل زهير الشايب فى مجموعته (المطاردون) تجرى أحداثها فى قطار ، ومن خلالها يبين الكاتب الفوارق الطبقية وسلوك الناس وأخلاقياتهم .

- وتقدم الكاتبة شهادة امرأة أجنبية أخرى « باربرا » التى عاشت فى مصر وعادت إلى وطنها عند انتهاء عملها تدل على رفضها لسلوك الغرب الاستعمارى تجاه الشرق « أحسسنا بالخجل من حضارتنا ومن حكوماتنا أمام الواقع المخزى الذى خلقته أطماعنا السياسية والاقتصادية ، فقد نهبنا ثروات الشعب وخيرات الأرض . وفوق كل هذا اخترعنا أسطورة الرجل الأبيض وأوجدنا التميز بين أفراد البلد الواحد. لقد لون هذا التمييز النفوس بالقتامة . حجر المشاعر وحول الإنسانية إلى جدول حقد يروى نسغ الشهوة إلى الدمار » (ص٧٥) .

وتعترف بأن التعصب العنصرى امتص كل امتيازات العقل البشرى وعاطفته الإنسانية » (ص٧٥) .

- أما الهاجس الثانى وهو هموم المرأة فيتمثل فى بعض قصص المجموعة « العذراء والثور » ، أم عبدو ، مدينة ووجوه ، سندباد فى رحلة مؤجلة ومضات من حياة مطلقة ، يأس مع وقف التنفيذ .

وكما انشغلت الكاتبة بنقاء الطبيعة ، والاهتمام بجمالها لتربية الحس العام كعلامة من علامات الحضارة انشغلت أيضا بالمرأة وهمومها ، ولكن الكاتبة متفائلة دائما بانتصار إرادة الحياة بالتمسك بالأمل والإصرار على البقاء ، ويتضح ذلك فى القصص « العذراء والثور، أم عبدو ، مدينة ووجوه ، سندباد فى رحلة مؤجلة ، ومضات من حياة مطلقة ، يأس مع قف التنفيذ .

ففى قصة « العذراء والثور » هدى تحب رشاد رغم معرفتها بأنه متزوج ، ولكنه بالنسبة لها أمان ، وهى بالنسبة له واحة يلجأ إليها ليستريح من عناء الحياة ، ومتاعب أسرته ، فهو يرى نفسه فى البيت « مثل طلل يقفون عنده وقت الحاجة ، أولادى يتذكرون وجودى لتلبية حاجاتهم المادية . أنا وحيد فى دارى وبين أهلى ، ولا أجد غير الهروب إلى بعض الأصدقاء أو النشاطات الثقافية ، فى حياتى العملية فعلت أشياء كثيرة مهمة ومميزة ، وفى حياتى الخاصة لم أفعل غير إنجاب الأطفال . لم اتخذ أى قرار رغم ضرورته الإنسانية لى ولمن يعيشون معى » (ص ٣٣) .

تنازعتها الأفكار وراحت تفكر ، أى السبل تختار « صوت أعماقها يشير عليها : أمامك طريقان لا ثالث لهما . الابتعاد أو الاستسلام لحبه بما فيه من عثرات وثغرات » (ص ٣٣) .

ولم تترك الكاتبة بطلة القصة « هدى » والقارئ فى حيرة الاختيار ولكن قدمت إشارات تساعدهما على الاختيار « لم يقل رشاد إنه يكره زوجته أو إنه سيتخلى عنها . تشعر أنها دخيلة ومتطفلة ، وأنها تخطو بقدميها نحو المجهول . لقد استكبرت على كل الذين خطبوها . لترتبط برجل متزوج » (ص ٣٣) .

إنه النصيب الذى يفرض على الإنسان الطريق .. وقبلت هدى الحب كقدرها المفروض عليها . ولكن هل تقبل أم ترفض ؟ .. الدلائل

فى نهاية القصة تشير أنها قررت الابتعاد عن رشاد . حب وتضحية لامرأة عاقلة .

أما أم عبدو « فى قصة أم عبدو » امرأة جميلة متفائلة فهى تؤمن بأن ابنها الغائب فى المعتقل سيعود وإن طالت غيبته عكس والده المتشائم الذى اعتبره ميتا « أم عبدو » تعلم أن غياب ولدها قد يطول أكثر مما طال ، لكن الأمل بعودته يهشم كل يأس متسلل إلى خاطرها . الزمن عندها لا يشيخ يظل شابا وحاضرا رغم أنه سجل فى حساب السنين عشر سنوات كاملات . وكيف يشيخ ويتحول إلى ذكرى ولحظة اعتقال عبدو ماثلة أبدا أمامها » .

وتكشف أم عبدو ببساطتها المفارقة المؤلمة لمأساة العرب عندما تقرأ خبرا عن وصول وفد البرلمان الأمريكى إلى لبنان للبحث عن مصير ستة جنود فقدوا فى الاجتياح الإسرائيلى للبنان . ولنستمع إلى تعليقها المؤلم « غياب ستة جنود يستفز جهود مؤسسات ومساعى دول عظيمة ، وأولادنا بالآلاف فى المعتقلات وكأنهم أموات » (ص ٥٥) .

هكذا فى لمحة سريعة تبين الكاتبة المفارقات المأساوية التى يعيشها الوطن العربى .

أما قصة « سندباد فى رحلة مؤجلة » فبطل القصة سياسى مغترب دائما عن وطنه ، فى إحدى رحلات الغربة التقى بامرأة وجد فيها الدفء والأمان « وفى عام من أعوام الغربة ضج فى ضلوعى الحنين . بحثت

عنها فوجدتها . كان اللقاء عذبا . إنها أمامى ولا يفصل بيننا غير ابتسامات فرحة على وجوه مشوهة » (ص ٨٥) .

التقت قلوبهما ، واستعاد كل منهما الماضى فهى أرملة تزوجت طيارا استشهد فى حرب تشرين . « وقد تضاعفت مأساتى عندما أسقطت جنينى وبقيت بلا ولد . النساء الأرامل يزرن المقابر أما أنا فأنظر إلى السماء تارة ، وأفكر تارة أخرى . آثار طائرته فقدت تماما ، ولا أعلم إن هو مات فى الجو أم فى اليم » (ص ٨٦) .

وهو متزوج وله أولاد ولكنه يعيش بعيدا فى الغربة دائما .

إنها الحرب وما تخلفه من مآس وعذابات ..

عرض عليها الزواج فقبلت .. ولكن الغربة باعدت بينهما وفى إحدى بطاقاته يقول « عدت اليوم من بابل . ليس غريبا أن يكتشف سندباد وهو يبحث عن مدينته المقهورة ، أن شجرة نسبه تمتد إلى أنكيدو وحافظ الشيرازى وعمر الخيام .. » وليس غريبا أن يتذكر سندباد حبيبته يلفه التيه وتذوى الحدود فيما بين مسلماته . ولكن أليس غريبا ومدهشا أن يهرم هذا السندباد وتبقى عشتار فى أعماق وعيه نضرة فتية ، تغسل شعرها كل صباح فى ندى عواطفه » (ص ٨٨) .

ولم ترد عليه وأثرت الوحدة ، ويخمن السندباد « عودتى الموعودة وضعتها ، على ما يبدو ، أمام احتمالات بلا نهاية .. فاختارت الهروب على قساوته . كانت كبرياؤها أكبر من ثقتها

بوعودى .. هل ألومها ؟ لا كانت أعرف بى من نفسى . ألم تقل إن وقتى هو ملك السياسة والظروف؟ ليتها تعرف أنى حاولت . وليتنى أراها لأجدد طلبى فى قربها » (ص ٨٩) .

هى بالنسبة له رمز للأمان . والراحة ، وهو بالنسبة لها أمل كانت ترجو أن يتحقق ولكن معرفتها بطبيعة عمله جعلها تكتم حبها ، وتظل مع الوحدة . النهاية جاءت استنتاجا متمشيا مع أحداث القصة .

أما قصة « ومضات من حياة مطلقة » فبطلتها فتاة جميلة ، ثرية مدللة فشلت فى الدراسة فزوّجها والدها ، ويفشل الزواج بسبب حماتها القوية . وضعف الابن .. يموت الأب .. التقت مع الصعاب والعذاب ، عاشت مع اخوتها كغريب عن بيئتى وبين أهلى والغربة فى البيئة قاسية على النفس والعقل والجسد ، الخواء النفسى فتح عينى على جهلى وتفاهتى حاولت أن أتحرك أن أفعل ، بدأت أنظم تفكيرى وأصحو من غفلتى » (ص ١٠٢)

المأساة أنضجتها ، بدأت حياتها من جديد فدرست وتخرجت ، وعملت وعاشت فى سكن خاص « أنا بحاجة للهواء والنور ، بحاجة للتجربة والمران ، بحاجة للناس . أليست كلها حاجات ، مع العمل بدأ كل شىء يتحسن . الوحشة تبددت ، شخصيتى انصقلت ، وأفكارى تبلورت وغدوت إنسانة أخرى غير التى كنتها » (ص ١٠٢) .

أحبت عادل الشاب التاجر ، ووعدها بالزواج فقبلت لتخرج من

قيود المرأة المطلقة المفروضة عليها ، ولكن الوعد لم يتحقق ، عندما اكتشفت أن له زوجة وبنتين .. منطق غريب . لقد أخذ من علاقتنا الجانب الذى يعنيه ، وتغاضى عن الجانب المتعلق بى . نسى أنى أنتمى إلى أسرة تأبه لأمورى مثلما يأبه هو لأمر ابنتيه » (ص ١٠٨) .

تبين الكاتبة معاناة المرأة المطلقة ونظرة الناس لها وتوضح سبب قبولها الزواج من عادل فتقول « ليست متشائمة لكنى حزينة . سوء حظ كبير صادفنى ووضعنى فى العربة الخطأ . قد يلومنى البعض أنى أحببت وفكرت بالزواج مرة ثانية ؛ ذلك لأنهم لا يعرفون شعور المرأة الوحيدة وكيف تستيقظ ليلا ويخيل إليها أن الجدران تمشى نحوها تطوقها بأحجارها الأسمنتية . بيت الوحدة قبر وكل ما فيه بارد لا صوت فيه ولا أنيس » (ص ١٠٨) .

وتبين أثر الوحدة على نفسية الإنسان . « الموت هو لحظة ، أما لحظات الوحدة فهى مديدة ودهرية كنت بحاجة إلى يد سحبة تطوقنى فى المساء ، وتمسح جبينى فى الصباح ، بحاجة إلى رجل يحمينى من افتراضات المفرضين ويحررنى من قيود اخوتى والتقاليد» (ص ١٠٩) .

وتذكرنى هذه القصة للكاتبة السودانية بثينة خضر مكى بعنوان «الذات والألسنة » من مجموعتها « أشباح المدن .

رقية يموت زوجها يحاول إخوتها إرجاعها إلى القرية ولكنها ترفض مغادرة المدينة حتى لا تتحكم فيها زوجات إخوتها حاول

إخوتها كثيرا إغراءها بالعودة إلى القرية ولكنها رفضت أن تغادر المدينة التى عاشت فيها ستة وعشرين عاما من عمرها ، كانت تخشى فى قرارة نفسها أن تتحكم فيها زوجات إخوتها إن هى عاشت مع واحدة منهن فى منزلها وساعدها أهل الحى الذين أحبوها وآلمهم طردها من منزل زوجها بعد موته على استئجار هذا المنزل الصغير ، وهو جزء من منزل أحد التجار أصدقاء المرحوم ، وكان ما تعود به بيع المشغولات اليدوية التى تحملها إليها فتيات الحى بالإضافة إلى إيجار الدكان الذى سجله باسمها حاج إدريس قبل وفاته يوفران لها فسحة من العيش هى راضية عنها كل الرضا (ص ١٥) .

وتحب « رقية » ود الزاكى الموظف بالمحطة ، وجدت فيه ما يؤنس وحدتها ، ولذلك لم تستطع أن تمنع نفسها من حبه رغم نصيحة صديقاتها بالابتعاد عنه . وتؤكد أيضا بثينة خضر فى قصة أخرى وهى « حادثة طلاق » على حاجة المرأة للرجل مهما كان هذا الرجل فتبين الكاتبة فرحة بطلة القصة بطلاقها » عندما رمى علىّ زوجى يمين الطلاق .. كدت أزغرد تطلعت إليه فى صمت مبهور كأننى لا أصدقه . لمح الفرحة تطل من وجهى فرفع كفه عاليا ثم هوى بها على صدغى ، قلت لنفسى ستكون هذه آخر صفعة أتلقاها فى حياتى من جنس الرجال وعاهدت نفسى أن سنوات العذاب التى تجرعته غصصا مع زوجى عصام .. ستكون هى تجربة الزواج الأولى والأخيرة فى حياتى » (مجلة المنتدى العدد ١٤٨ ص ٦٨) .

ولكنها بعد ذلك تكتشف أن ظل رجل ولا ظل حيطة ؛ حتى لا تعيش مطلقة يتحكم فيها كل إنسان ، فتعترف « الآن فقط عرفت لماذا تصبر المرأة على الهوان فى بيت زوجها .. الآن فقط تعلمت أن ضل راجل ولا ضل حيطة » .

أما قصة « يأس مع وقف التنفيذ » فالكاتبة جمانة طه تصور قلق بطلة القصة ولذا « خرجت من البيت . رمت نفسها ضمن الطوفان البشرى تسابق خطواتها المقبة ، وكأنها تهرب من شيء يريد أن يمسك بها ، ليس هناك وجهة محددة فقط تريد أن تهرب . مم ؟ ربما من الزمن ، وربما من ضجيج أعماقها » (ص١٢١) .

وتكشف الكاتبة سبب هذا الهروب هو اكتشافها أن الزمن بدأ يضع بصماته على وجهها « كيف تم هذا التغيير فجأة ؟ أتراه صحيا أم أنها عوارض التقدم فى العمر كما يدل مؤشر التاريخ فى البطاقة الشخصية » (ص١٢٢) .

أنها لحظات سن اليأس التى تمر بها المرأة تأملت نفسها فرأت أن كل ما فيها يغادر نفسه . شعرها يغادر سواده . وجهها يغادر ألقه . جسدها يغادر رشاقته ، وروحها تغادر صفاءها » (ص١٢٣) .

ولكن الكاتبة لم تترك بطلة القصة فى دوامة القلق واليأس . فأعطت لها الأمل فى الحياة الممتدة فى الأولاد عندما دق جرس الباب وإذا ابنها الكبير يقف أمامها ومعه زوجته وأولاده عائدا من السفر من الخارج فعادت لها الحياة ، ونسيت آلامها « وضعت اختلاجاتها على

ذراعيها ، ضمتهم إلى صدرها الواهن ، الذى تدفق عافية وانتظمت دقاته من جديد » (ص١٢٨) .

● **الجانب الفنى :**

- استخدمت الكاتبة أشكالا فنية ، تختلف عن الشكل القصصى التقليدى المكون من المقدمة والعقدة والحل كما قال الدكتور شاكر مصطفى فى مقدمة المجموعة « الذين أدمنوا القصص الكلاسيكى على نهج موباسان وتيمور سيفاجأون بهذه المجموعة . إنها ليست من قصصهم التقليدى . إنها شىء أشبه بالأحاديث والبوح والحوار مع الذات أكثر منها بالقصص » .

وهذا النوع من القصص يعتمد على أسس فنية عوضا عن الشكل التقليدى ، ويتمثل ذلك فى خلق اللحظة المتوهجة التى تفجر الحدث ، فتكون بداية القصة ، ويتمثل أيضا فى التركيز ، وشاعرية الأسلوب ، والمحافظة على لحظة التوهج فى القصة ، والبعد عن الإسهاب فى السرد الذى يطفئ هذه اللحظة ، كما أنها تعتمد أحيانا على البعد النفسى للشخصيات .

- لم تخل القصص من المباشرة خاصة عندما تتدخل الكاتبة للتعليق ، وتقع فى التوجيه والتحذير والإنذار ، كما فى قصة « صور فى البال » فتقول « ماذا ينقصنا حتى نتصرف كالأمم المتقدمة ؟ لماذا نكره النظام ونتمرد على الالتزام ؟ لماذا لا نحرك المثل فى أعماقنا

ونرفض الفوضى والقذارة ؟ لماذا لا نغتال قلة الذوق وعدم الكياسة ؟ لماذا لا تتحرك هذى الجموع المنتشرة على امتداد موقف الباصات وتنظيم صعودها ونزولها ؟ (ص٤٣) .

وكما فى قصة « وشم فوق وجه الحب » فتقول « ما أسخف وضع المرأة فى المجتمع الشرقى ! حاضرها ومستقبلها فى قبضة الرجل . إن أراد الخلاص منها فلا شىء يمنعه . هو قادر على أن يحولها إلى مجرد متاع لا ثمن له ، وأن يخلعها مثلما يخلع ثوبا عتيقا ضاق به ذرعاً» (ص٦٣) .

- تستخدم الكاتبة فى بعض القصص الأسلوب الرمزى الذى يوحى بأكثر من معنى .

- كما تستخدم المواقف المتناقضة مكتفية بما توحى به من دلالات كما فى قصة « أم عبدو » وقصة « صديق متآمر » .

- بدايات القصص تختلف من قصة إلى أخرى فمنها :

١ - بداية تمهد للدخول فى الحدث كما فى قصة « هلوسات بحرية» .

٢ - بداية مبهمة لإثارة فضول القارىء وجذبه للدخول فى القصة .

٣ - أحيانا تدخل فى الحدث مباشرة حيث تبدأ من لحظة التوهج .

٤ - أغلب بدايات القصص أسلوبها شاعرى .

٥ - بدايات حوارية كما فى قصة « العذراء والثور » .

أما نهايات القصص فهى :

١ - فى بعض القصص نهايات مفتوحة لتترك للقارئ فرصة الاستنتاج مع تقديم الإشارات التى تساعده للوصول إلى النتيجة كما فى قصة « سندباد فى رحلة مؤجلة » .

٢ - النهايات التقليدية التى تقدم النتيجة .

٣ - فى نهاية قصة « سندباد فى رحلة مؤجلة » نفضل الوقوف عند الجملة « هل ألومها ؟ لا كانت أعرف بى من نفسى ويمكن الاستغناء عن باقى الجملة » ألم تقل إن وقتى هو ملك السياسة والظروف ؟ ليتها تعرف أنى حاولت وليتنى أراها لأجدد طلبى فى قربها وكيف أنت ؟ حيث تعتبر هذه الجمل تفسيرية لا لزوم لها . ولا تتمشى مع الأسلوب التلميحى الذى تلجأ إليه الكاتبة .

- تمزج الكاتبة فى معظم قصصها بين الصوتين : الوعى واللاوعى تمزج بين الحاضر والماضى مما يثرى به القصة ويعمق مفهومها ويلقى الضوء على تصرف الشخصيات .

فى هذه المجموعة نتبين أن الكاتبة جمانة طه قدمت هموم المرأة نصف المجتمع التى ترجع إلى عيوب المجتمع نفسه الذى لم يتخلص بعد من رواسب الأفكار القديمة ، وإلى الأفراد الذين لم يستوعبوا مظاهر الحضارة عقليا وقلبيا وسلوكيا ، بحيث يتحقق التقدم المنشود للمجتمع الذى بالتالى سينصف المرأة .

* * *

قراءة فى مجموعة « رحيل النوافذ »

صدر لثريا البقصمي الأدبية الكويتية مجموعتان قصصيتان عن الغزو العراقى للكويت هما « شموع السراديب ، ورحيل النوافذ » ، التى سنتحدث عنها فى هذا المقال : جميع القصص ، كلمة شاهدة عيان على المأساة التى هزت الشعب الكويتى ، والشعب العربى كله ، وكان لها الأثر الكبير فى إحداث شرخ فى نفس الإنسان العربى نتيجة التناقض الذى شاهده بين الشعارات التى كان يرفعها الغازى وبين الواقع الذى حدث ويكذب تلك الشعارات .

لقد كان للغزو العراقى للكويت أثر كبير فى نفوس الشعب الكويتى الذى عانى من ممارسات الغازى غير المتوقعة التى بلغت حداً لا يطاق من التعذيب الجسدى والنفسى لكسر الإنسان الكويتى ، ولكن الأحداث أثبتت قوة الإنسان الكويتى وثباته فى مواجهة الغزو بالمقاومة الشعبية التى شارك فيها الرجال والنساء والأطفال .. إنه حب الوطن الذى يفوق كل حب وترخص من أجله الأرواح والأموال .. كل شيء يذهب ويبقى الوطن ، هذا كان شعارالكويتيين كما بينته الكاتبة فى قصصها ، كان الصمود ضروريا ليبقى الوطن ، لتبقى الأرض لينبت فيها الإنسان من جديد ، ليزدهر فيها الحب من جديد هذا الحب الذى حاول الغازى العراقى أن يقتله ولكنه طل عليه من كل جثة رجل أو امرأة أو طفل ، طل من عيون كل الكويتيين الذين انصهروا بحبات رمال الوطن .

لا شك أن مأساة الغزو العراقى للكويت ليست حادثة عادية

تنتهى بانتهائها، ولكنها مأساة فظيعة أحدثت شرخا عميقا فى نفس كل عربى ، وهذا الشرخ لا يلتحم بسرعة ولكنه يحتاج إلى سنين وإلى حسن نوايا فعلا . للأسف إن مثل هذه المأساة أثارت أقلام المبدعين آنذاك وأمطروا الصحف والمجلات فى سباق محموم على النشر ثم هدأت الكتابات رويدا رويدا حتى توقفت تماما ، هل لأن المناسبة استنفذت أغراضها بما درته على بعض الكتاب من مكاسب مادية ، أم لأن المأساة فى نظر الكتاب لم تتعد حادثة بسيطة انتهى أثرها بانتهاء وأداء واجب العزاء . . هذا مؤسف حقا لأن المأساة فظيعة وتزداد عمقا بمرور الزمن ولذا أرى أنها فى حاجة إلى المزيد من الكتابات التى تكشف عن سبب هذه المأساة ، وفى الفكر الذى كان سائدا آنذاك . . وإذا كان الكتاب والأدباء العرب توقفوا عن الكتابة عن هذه المأساة فإن أبناء الكويت لم ولن يتوقفوا عن الكتابة وستكشف الأيام عن أعمال أدبية عظيمة مثل الأعمال العالمية التى تحدثت عن الحربين العالميتين .

فى مجموعة « رحيل النوافذ » تقول ثريا البقصمى فى المقدمة وإن مجموعتى القصصية هى شهادة جديدة ضد ذلك الزمن المجنون . . وهى تكملة لشهادتى الأولى فى مجموعة قصص « شموع السراديب » حيث نقلت بصدق كبير إحساسى ، انطباعاتى ،ومعايشتى لتلك الأيام التى سجلها التاريخ على جدران المأساة البشرية » (ص ٧) .

لقد كتبت ثريا البقصمى قصصها بحب كبير ، جسدت أحداثها «أتخيل لحظات جنونى وأنا أرسم العشرات من اللوحات الحاملة

وجوها خضراء لشباب أسقطهم رصاص المحتل فاللوحات التى رسمتها فى فترة الاحتلال كانت شهادة حية جسدت صراع الفنان مع لغة الإرهاب والقمع ونحر الحريات » .

فى هذه القصص تصور الكاتبة ممارسات العدو العراقى الفظيعة مع الكويتيين من سلب ونهب واعتداء على العرض والشرف .. لقد استخدم الغازى كل الوسائل لإحداث التخريب المادى والنفسى ليزرع اليأس فى نفوس الكويتيين ليستسلموا لأوهام الزعيم ..

ولكن سقطت الأوهام وتحطمت على صخرة المقاومة الشعبية رجالا ونساء التى جسدتها الكتابة بقلمها وريشتها فعبرت عن مواقف صلبة عنيدة جسدها أفراد الشعب والأسر الكويتية التى قدمت أرواحها فداء للوطن ، فهذا جريح يصر على المشاركة وهو لم يتم شفاوءه ، وهذه أسرة تساعد فى تمريض الجرحى ، فسعاد فتاة ، تقوم بتمريض مقاتل بيت الأسرة «آه لو صدق فنجانك ياسعاد وشفيت ساقى الجريحة فى والله لأركض فى الأذقة الضيقة ..

تحت جنح الظلام أحمل رشاشى لأصيد به الأوغاد .. سأصيدهم كالذباب أهشم رءوسهم .. طاخ .. طاخ .. طاخ (قلبها الأخضر ص ١٣) .

لقد أجهض العدوان حلم « سعاد » كفتاة من حقها أن تحب وتتزوج وتنجب أطفالا . لأن المعتدى يريد أن يخنق الحب وكل العلاقات الإنسانية الجميلة » . لقد زرعوا التشاؤم والقلق النفسى

والتوجس من المستقبل بصراحة لدى شعور بأن هناك من سيسرق عيني حبيب تلك المرأة ، ثم أنا أكتب لأقتل ذلك الغضب المتسرب إلى أناملي » (رجل بلا عبنين ص ٢٠) .

لقد قتل الغزو الغادر كل المعاني الجميلة « فالزمن الحالي مقبرة لكل المشاعر الإنسانية الجميلة ، لقد زرعوا في داخلنا عوسج الموت الذي لا يكف عن بث رائحته الكريهة » (رجل بلا عينين ص ٢١) .

من لحظات اليأس يبزغ الأمل ويمتد حتى يغشى عيون الأعداء .. ينتصب عملاقا في طفل في شاب في امرأة يرفعون كلهم راية المقاومة لتعلن أن الشعب لا يموت أبدا ، فالزوجة بجانب زوجها وهو يجتاز حواجز التفتيش ، إنها رغبة التحدي ولو أدى هذا إلى فقدان الزوج .. فقدان الحب .. لأن كل شيء يهون من أجل الوطن .. « ووقع العصفور من على زند البحار ، وتخبطت عروس البحر في شباك حزنها وقلقها ، بعد أن خافت من سرقة عينيه ، فهي تعلم بأن زنزاناتهم المظلمة العفنة لا تسمح لحوريات البحر بدخولها ، وعصافير الشوق تخر عند عتبات أبواب الزنزانات ، لقد بثته خوفها وقلقها صباح ذلك اليوم الذي اعتقل فيه » (رجل بلا عينين ص ٢٢) .

لقد زرع العدو الموت بالجملة ودفنهم بلا كفن وفي لمحة ذكية كشفت الكاتبة عن رداءة العدو في هذه الجملة التي تحمل كل الأسى والحزن في حديث بين شخصيتين عن القماش الأبيض » . لقد حصلنا عليه من مخازن معسكرات الجيش في أول أيام الغزو واستخدمناه ، أكفانا لموتانا .. لم نعد بحاجة إليه ، أوامرهم صدرت بدفن الموتى

الكويتيين بدون أكفان .. أوامر تحمل عقابا صارما بحق الأموات » (كانت هي الشاهد ص ٢٨) .

وتواصل الكاتبة كشف فظاعة العدوان العراقي وممارساته غير الإنسانية ، يقتل الشباب أمام أهاليهم وتترك جثثهم في الشارع ليكونوا عبرة لمن تسول له نفسه المقاومة ، ولكن لم يزد هذا الأهالي إلا إصرارا على المقاومة للدفاع عن كرامتهم .. عن عرضهم « وأمام الجمع الغفير المسيطر عليه شعور الذعر ، أسندت إلى الحائط تسعة أجساد شابة شوهتها لغة التعذيب .. الورقة التي وقعها (أي القائد) حملت هذه الجملة » تم إعدام الخونة رميا بالرصاص .. الأوامر العسكرية أن تترك الجثث في العراء ، لتبقى موعظة للآخرين » . (كانت هي الشاهد ص ٢٩) .

وظلت الشاهدة على فظاعة العسكر هي الشاهدة والحالمة بإهداء قطعة القماش البيضاء للجثث الملقاة في العراء « وتبقى هي الشاهد الحالم بإهداء اللفافة إلى كل الجثث المعلقة بالصقيع الأخضر » (كانت هي الشاهدة ٣٠) .

وصادر الضباط لفافة القماش « صاحب البزة العسكرية المشحونة بالغضب صادر لفافة القماش .. أصدر أمرا لترسل حالا إلى بغداد إلى جماعته إلى امرأته المهجورة منذ أن بزغت شمس « أم المعارك » .

وتصور الكاتبة دور المرأة الكويتية وصمودها أمام تعذيب العسكر العراقيين « كل ما فعلناه بها وهي مازالت صامتة كالجدار .. النساء عندنا بعد حفلة تعذيب واحدة يسردن حكايات تقضي على

عشيرة بأكملها . . نساؤهم غير شكل .. عناد أحمق » (دائرة البساطير ص ٣٤) .

فى « رحيل النوافذ » يرسل الحبيب ، بعيدا ويتسرب الحزن إلى الحبيبة المنتظرة فى النافذة عودة الحبيب .

كان كل ما فعلته لقتل مشروع حب كتب عليه الفشل منذ بدايته ، وهو أنها أغلقت زجاج النافذة ثم ألصقت أرنبة أنفها بالزجاج البارد وانتحبت بعنف ، وهى تشيع سربا من أحلام اليقظة ، محلقا فى سماء مراهقتها الأولى (رحيل النوافذ ص ٥٤) .

« وتظل ترقب الفتاة الشارع الذى تطل عليه من خلال نافذتها ، مشطته بنظراتها غير المستقرة لم ترعبها أشكال الآليات العسكرية العراقية وهى تعذب الأسفلت بسرعتها العشوائية ، لقد اعتادت شكلها القمىء ، المتسلق لظهر المدينة العادى » (رحيل النوافذ ص ٥٦) .

ويعود الحبيب بعدما أنجز مهمته السرية .

وفى قصة « العجز الأبيض » تصور عجز كاتبة عن مواصلة الكتابة لقد أجهضت الصدمة الرغبة فى الكتابة .. لقد أحست بالشلل « إن السبب يعود للصدمة النفسية التى تلقيتها فى صبيحة اليوم المشؤوم » . (العجز الأبيض ٦٢) . ولكنها رغم توقفها عن الإبداع ، فإنها لم تتوقف عن كتابة المنشورات السرية .

وهكذا صورت ثريا البقصمى بطولات الشعب الكويتى الذى جمع إرادته ووقف فى وجه الغزو كل حسب قدراته وإمكاناته .. المهم أن يشارك الجميع فى المقاومة ..

* * *

ثريا البقصمى أديبة وفنانه تشكيلية أقامت العديد من المعارض الفنية فى الكويت وفى البلاد العربية فهى تمتلك ناصية التعبير بأداتين هما التعبير بالكلمة والرسم بالريشة ، وأعنى رسم الكلمات بتجسيدها وتلوينها بالفرشاة تلوينا يشى بالحالة النفسية للشخصيات ، ولذا يمكن القول إن مجموعتها القصصية « رحيل النوافذ » اجتمع فيها القصة / اللوحة ففيها الصور الشعرية المجسدة تجسيدا يجذب الفنان لنقلها الى اللوحلة وهذا ما فعلته الأديبة ثريا البقصمى ، فالمجموعة تشتمل على لوحات بريشة الكاتبة الفنانة مما زاد من قوة التأثير والتواصل بينها وبين المتلقى عن طريق السمع والبصر ولذا فمثل هذه الأعمال الإبداعية تحقق الهدف منها أكثر من آلاف المقالات الخطابية التى تدبج فى المناسبات .

لقد لجأت الكاتبة إلى الأسلوب الشعرى ؛ ولذا لم تقع القصص فى المباشرة والهتافية ويتمثل فى عنوان المجموعة « رحيل النوافذ » فهو عنوان رمزى يوحى بالكثير من المعانى .. تنوعت فى القصص استخدام الضمائر ، فقد توزعت بين ضمير المتكلم وضمير الغائب ، وهذا أعطى للكاتبة حرية الحركة بين الضميرين للكشف عن أعماق شخصياتها وأعطاها أيضا حرية التدخل بالتعليق على الحدث بشاعرية ، دون إخلال بفنية القصة .

* * *

مجموعة « الشمس التى وراء الأكمة »
دعوة للحب والانتماء للوطن

نازك الملائكة معروفة فى الساحة الثقافية العربية كشاعرة كبيرة رائدة ، ولكن البعض الآن ــ خاصة الشباب ــ لا يعرفون أنها كاتبة قصة قصيرة أثارت جدلا كبيرا حول الأفكار التى طرحتها فى قصصها ، كما أثارت جدلا حارا فى تجديدها فى الشعر ، ويرجع هذا إلى بحثها الدائم عن الجديد ، يساندها فى ذلك ثقافتها الواسعة ، وخبرتها العميقة .

صدر حديثا للشاعرة الكبيرة عن المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة مجموعة قصص قصيرة بعنوان « الشمس التى وراء الأكمة » .

وتثير هذه المجموعة تساؤلين :

- ما العلاقة بين القصة القصيرة والقصيدة ؟
- عندما يكتب الشاعر القصة القصيرة ما أثر كل منهما فى الآخر ؟

بالنسبة للعلاقة بين القصة القصيرة والقصيدة يوجد علاقة قوية .. علاقة تأثير وتأثر ، فكما تستفيد القصة القصيرة من التركيز الشعرى فى السرد باستخدام الألفاظ الموحية مما يؤدى إلى اختصار الكثير من السرد فى القصة القصيرة ، تستفيد القصيدة أيضا من القصة القصيرة باستخدام الأسلوب القصصى .

ويبين الدكتور البراق عبد الهادى فى تقديمه لهذه المجموعة أن هناك صلة بين القصة القصيرة والقصيدة وهى اشتراكهما فى الحروف

فيقول « إن الحروف المشتركة بين كلمتى القصة القصيرة والقصيدة من ناحية المخارج الصوتية ـ وهى القاف والصاد والتاء المربوطة تدلنا على مدى الارتباط بين اللفظين فى الجذر اللغوى ، ثم إن كلا منهما تعبير عن الذات يتمثل فى الخيال والأسلوب ولكن بعد تفرعهما ونضجهما أصبح لكل واحد منهما خصائص تفرق بينهما ، فكانت الحبكة الفنية فى الأحداث ـ مثلا ـ من شرائط القصة وكان التزام الوزن والقافية الموحدة من ميزات القصيدة » (ص٦) .

وبالنسبة للسؤال الثانى هل يستطيع الشاعر أن يسيطر على نفسه عندما يكتب القصة القصيرة حتى لايتغلب الشاعر على القاص فتتحول القصة إلى قصيدة بكل مواصفاتها الفنية ؟ .

هناك بعض الشعراء لا يستطيعون التحكم فى الشاعر عندما يكتبون القصة فتتحول القصة إلى رموز غامضة غير مفهومة ، والبعض الآخر يتحكم فى الشاعر ويأخذ من الشعر ما يفيد القصة كما ذكرنا .

تتناول نازك الملائكة فى هذه القصص القضايا التالية :

- الاغتراب عن الوطن وآثاره النفسية .
- علاقة الإنسان بالمجتمع . وعلاقته بالكائنات حوله .
- علاقة الرجل بالمرأة .
- الحب قيمة اجتماعية ضرورية لمواصلة الحياة .

وترجع أهمية هذه القصص أولا : إلى أن الكاتبة كتبتها من واقع

تجربتها الفكرية والحياتية الخاصة ، ولذا نجدها تروى القصص بضمير « أنا » . حتى ولو كانت بعض القصص بضمير « الغائب » لتوضح أو تعلق على موقف أو معلومة .

وثانياً : أنها تمزج بين الواقع والخيال . وجعلت القصص وسيلة من الوسائل الفنية التى نجحت فى توظيفها لمناقشة بعض القضايا الاجتماعية ، توظيفا فنيا ، ولذا لم يشعر المتلقى بملل أو رتابة .

أكدت الكاتبة فى القصص أهمية روحانية الشرق التى يفتقدها الغرب المادى من واقع تجربتها أثناء إقامتها فى أمريكا ، لقد شغلتها هذه القضية لأهميتها وخطورتها فى تشكيل عقل ووجدان الشرقى المهاجر إلى الغرب ، كما شغلت من قبل طه حسين . وتوفيق الحكيم، ويحيى حقى . والطيب صالح وسهيل إدريس . وما زالت هذه القضية تشغل بال الكتاب حتى الآن . إنقاذا للإنسان الشرقى والعربى بصفة خاصة حتى لا ينسحق تحت عجلات الغرب .

ولذلك نجد نازك الملائكة تقف بوضوح بجانب روحانية الشرق بحسم وتؤكد الحب كأساس متين بين الناس .

لأن بافتقاد الحب يفقد الإنسان نفسه ، وأسرته ، ووطنه ، فيخسر كل شىء مقابل كسب مادى زائل . يحول الإنسان إلى آلة باردة .

لذلك نرى الكاتبة تشعر بالحزن والأسى عندما تعود « وداد » بطلة قصة « ياسمين » من أمريكا ، فتنفر منها أختها الصغرى «

ياسمين ، رغم محاولات وداد ، المتكررة للتقرب إليها وإعادة الحب المفقود بينهما بسبب البعد مدة طويلة . ولكن « ياسمين » وضعت حدا لمحاولات أختها « وداد » بكلمات قليلة ولكنها حادة كالسكين انغرست في القلب «اذهبي لا أريدك » حينئذ أيقنت وداد « أن الحب الأخوى ليس معنى نظريا بالنسبة لطفلة في الرابعة كما ، بالنسبة لنا نحن الكبار . وإنما لابد له أن ينبت كما تنبت البذرة » (ص٢٢) .
وتشير إلى أن العلاقات بين الفرد وبين أسرته تحتاج إلى المعايشة الكاملة والرعاية لينشأ الحب ويتعمق في القلب وهذه الكلمات الرافضة لوجودها جعل « وداد » تشعر بمدى الخسارة الفادحة التي لحقت بها . وأن المكاسب المادية ليست هي الأساس ولكن هناك أشياء أكثر قيمة وأبقى أثرا يؤكد انتماء الإنسان ، وتغرس جذوره في أرضه « إنهم يحسبون أننا نكسب كثيرا من حياتنا في الخارج ، دون أن يتخيلوا الثمن الذى ندفعه . إن حياة البعد المنفصلة هذه ليست كلها مباهج ، وتكاليفها الشعورية في الغالب باهظة بعضنا يدفعها في الخارج . وبعضنا يدفعها فيما بعد . إننا نعود إلى الوطن وقد تغيرنا وتكونت في أنفسنا طبقات جديدة أجنبية الطبيعة ، تترسب في خلاياها وجوه غير مألوفة ، وأصداء عبارات من مجالس مجهولة ، ورؤى أماكن بعيدة ودروب تتلوى في مزارع تختلف عن مزارعنا ، وغرف في بنايات لا تشبه بناياتنا » (ص ٢٣) .
وهذا التغير الذى يطرأ على أسلوب حياة وفكر أبنائنا في الخارج

يجعلهم يعودون إلى الوطن وهم ناكرون له . محتقرون تأخره ، رافضون للأهل ، تغير خطير لأن الوطن بذلك يخسر أبناءه إذ يتحولون إلى أدوات في يد الغرب لتنفيذ مخططاته الهادفة تدمير ثقافتنا وشخصيتنا سواء بقصد أو بغير قصد وهذا أخطر الحروب ، إذ يحاربوننا بأيدى أبنائنا ، ولهذا أكدت نازك الملائكة على مثل هؤلاء المسخ الذين يلحقون الضرر بوطنهم . وقد أشار إلى هذه القضية بصورة ساخرة عبد الله النديم في مجلة التنكيت والتبكيت فذكر حكاية ابن الفلاح الفقير ، الذى كافح بكل ما يملك حتى يتم تعليم ابنه في الخارج ، ويعود الابن إلى قريته ، وقد أصبح مسخا غربيا يحتقر حياة أهله الريفية ، وينعى عليهم تأخرهم .

وتبين نازك الملائكة في نهاية قصة « ياسمين » فرحة وداد بعودة أختها إليها واعتبرت هذا هو المكسب الحقيقي الذى حصلت عليه . لأنها عرفت أن معنى هذا هو قبولها في الأسرة ، ودخولها في نسيج المجتمع ، فزال منها الخوف والحذر .

وكما بينت الكاتبة تأثير البيئة الثقافية في نفسية المغترب ، بينت أيضا في قصة « ظفائر السمراء عالية » الأثر التخريبى للمادة في نفسية الإنسان خاصة عندما يحب المادة وهو في بداية حياته ، والكاتبة في هذه القصة تروى صفحة من حياتها في عهد الصبا يقول الدكتور البراق عبد الهادى في تقديمه للقصص . مجموعة الصبية يحاولون البحث عن الكنز الموجود بمنزلهم الذى حكى لهم الأجداد

والآباء عنه ، لتحقيق حلمهم فى الثراء السريع ، فيعثرون على صندوق مملوء بالمجوهرات ، فرحوا ، وأصيبوا بالهستيريا « كل صبى وصبية يحمل فى يديه قطعة ذهب ويهتف بحماسة حينا ، ويهدأ حينا ، كانوا جميعا فى هستيريا من الذهول والفرح ، وجوههم مبهورة حمرة وهم يتصارعون » (ص ٤٨) ، ولكن سرعان ما تتبدد الفرحة ويصابون بخيبة الأمل عندما أخبرتهم أم أشرف بأن هذه المجوهرات ملك جارتها أودعتها أمانة عندها خوفا من اللصوص ، وقالت لهم مهدئة من روعهم «لا تصدقوا أن فى هذا العصر كنوزا ، كان ذلك فى قصص ألف ليلة وليلة ، وما من ثروات مدفونة فى بيتكم البالى هذا ، وحتى لو تألمتم وحزنتم فلا بد لكم أن تجابهوا الواقع ، نحن فقراء وليست لنا كنوز » (ص٥٥) .

وتصور الكاتبة أثر الفشل فى نفوس الصبية « وواصلوا كآبتهم وصمتهم واستمروا جالسين على الأسرة . وعلاقات القنوط واضحة فى حركاتهم كلها . حتى أرجلهم المتدلية لم تعد تتحرك » (٥٥) .

أما الاغتراب الداخلى وهو شعور الإنسان بالغربة وهو فى وطنه لأسباب سياسية أو اجتماعية . أو من الملل من روتينية الحياة التى لا جديد فيها ، والفشل فى تحقيق التطلعات المستقبلية . وهذا الاغتراب يولد عند صاحبه الإحساس بالوحدة والانعزالية ، فيبحث عن عالم آخر يعوضه عن واقعه المر . فشخصية « شوق » فى قصة « رحلة فى الأبعاد » تهرب من حياتها الروتينية المملولة إلى أحلام اليقظة التى

تجد فيها راحة نفسية ، فهى تسافر فى أحلام اليقظة هذه فى أعماق التاريخ فتنسى نفسها مع امرئ القيس ، وابن عربى ، وأسعدتها هذه الأحلام حتى « أصبحت تبتهل إلى الله أن يكون للإنسان بعد الموت الاقتدار على تحقيق هذا الحلم الذى شغفها حبا . وراحت تمنى نفسها بأن الموت باب من الرؤية والبصيرة ينفتح للإنسان ، لأن الجسد ثقيل كثيف ، يحجب رهافة الروح وامتداد أبعادها وقوة بصرها » (ص ١٢٤) .

ويحتار زوجها فى أمرها فيسألها « ولكن كيف يا شوق . كيف تفسرين هذا كله ؟ كيف يمكن أن يكلمك محيى الدين بن عربى بصوته وهو قد مات منذ قرون كثيرة ؟ إنك لم تكونى نائمة كما تقولين فما معنى ذهابك إلى العصر الجاهلى هذا ؟ أكان حلما ؟ أكان غيبوبة ؟ أكان تجسدا وهميا لتمنياتك التى لا تنتهى حول رؤية التاريخ» (ص ١٤٠) . فتجيبه شوق « الله وحده الذى يعلم ، ولا تفسير لأغوار النفس البشرية وأبعادها كل ما أتمنى أن تتاح لى غيبوبة أخرى ، كما تسميها . أرى فيها مزيدا من أشخاص التاريخ وأحداثه » (١٤٠) .

نازك الملائكة فى هذه القصص تؤكد ـ كرد فعل حاد لما رأته فى الغرب من ما دية تقتل الروح ـ على ضرورة وجود الحب لأنه يكسب الإنسان الشفافية والسمو الروحى ، ويمنحه رؤية إنسانية شاملة للإنسان ، ولكل الموجودات ، إنها ترى الحب يصنع المعجزات ،

وهذا ما أشار إليه أيضا هنرى ميلر فى روايته (الوشيجة) على لسان أحد الأبطال « المعجزة هى الحب ، فالحب وليد اللحظة الراهنة وهو دائم الحياة ، الحب مثل الطاقة التى لا تزال لغزا كاملا ، فهو موجود دائما فى المتناول دائما ، فكما أن الإنسان لم يخلق مثقال ذرة من الطاقة ، فهو لم يخلق الحب أيضا ـ الحب والطاقة كانا وسيبقيان إلى الأبد (ص٥٢) .

ويتساءل هنرى ميلر « كيف يمكننا إذن ، إن كان ذلك ممكنا أن نتكلم عن أو حتى نفكر بفقدان الحب ؟ فبالرغم من نجاحنا مؤقتا فى إقفال الباب ، فإن الحب سيجد له منفذا للدخول » (ص ٥٢) .

فى قصة « إلى حيث النخيل والموسيقى » تؤكد نازك الملائكة على الحب بين البشر ، حيث نجد « نهى » تتمتع بروح شفافة ، تحس بالموجودات حولها . وتتواصل معها ، فهى تتواصل مع نخلتين فى البيت المجاور لبيتها ، نهى تلعب عندهما مع إخوتها ، نجدها تشعر بالحزن عندما تعرف أن صاحبهما ينوى قطعهما لأن « هاتين النخلتين قد ارتبطتا بحياتها وحياة إخوتها ، فمنذ بنى أبوها هذا المنزل الصغير والنخلتان الخضراوان قائمتان .. كانت نهى تحس دائما إن النخلتين تتفتحان وتزيدان اخضرارا عندما تمنحهما وسادة صوتها الملائكى . والنخل يسكر بالعطور ويحلم ، ونهى كلها عطور وأحلام ، ونهى صبية ولا كل الصبايا » (ص ٧٨) .

وبعد تفاهم بين والد نهى وجاره اكتفى الرجل بقطع نخلة

واحدة، ورغم هذا حزنت نهى « لقطع النخلة ، ومرضت واشتد عليها المرض ، وتقول لأسرتها وهى على فراش الموت » لا تتكلموا اصغوا إلى الصوت الآتى مع العاصفة ، اسمحوا لنخلتى الميتة أن يصلنى صوتها ، إنها تنادينى ، صوتها الحزين يهمس : نهى ، نهى ، تعالى إلىّ يا نهى آتية يا نخلتى يا حبيبتى ، آتية سريعا ، نوال ، نوال ، أعطينى معطفى فالجو بارد وأعدى حقيبتى لنسافر » (ص ١١٥) .

وتواصل الكاتبة تأكيدها على أهمية الحب للإنسان ، وانه لا طعم للحياة بدونه ، ففى قصة « الشمس التى وراء القمة » نرى « هدى » تحاول اقناع زوجها « نبيل » بأن العلاقة الروحية بين الزوجين أهم من العلاقة الجسدية الفانية . وترى « أن حفلات الزفاف تعنى بإبراز الجانب الجنسى المتبذل فى ليلة الزواج فهؤلاء الناس لا يتصورون ليلة الزفاف فاتحة حياة شعرية جديدة بين امرأة إنسان ، ورجل إنسان لهما فكر وأحاسيس وذوق ، ولا يعقلون الجانب الروحى فى الصلة بين العروسين. وإنما كل ما يفهمون أن اتصالا جنسيا محموما سوف يقع ، وقد كانت هذه الأفكار المبتذلة هى التى جعلت هدى تنفر من الزواج طوال حياتها وتحتقره وتأباه لنفسها . كانت تشعر دائما أن علاقة الحب بين الرجل والمرأة واسعة الأبعاد ، عميقة الآماد ، ضاربة فى أعماق الروح ، علاقة نبيلة كلها شعر وموسيقى وحياة » (ص ١٥١) فالزواج عند هدى علاقة روح قبل الجسد ، لأنها هى الأبقى ، وجسر التواصل بين الزوجين الخالد ، وتأكيد الكاتبة على العلاقة الروحية هو

رفض لأن تكون العلاقة الجنسية هى الأساس بين الزوجين ، وهناك أيضا سبب آخر مهم يرسخ العلاقة الزوجية وهى إنجاب الأولاد ، فهذا يعطى لحياة الزوجين معنى وقيمة .

كما تعالج الكاتبة الهم الوطنى فى قصة « منحدر التل » حيث تضطر أسرة فلسطينية إلى الخروج من قريتها هربا من الهجوم اليهودى الذى يحرق كل ما فى طريقه ، وهذه القصة تتبين رؤية الكاتبة المستقبلية لما ينتظر القضية الفلسطينية من تشريد وضياع وهذا ما نراه الآن .

أما فى قصة « قناديل لمندلى المقتولة » فتؤكد على انتماء الإنسان لوطنه واستعداده لبذل روحه وكل ما يملك فداء له ، فعندما يقطع العدو المياه عن قرية « مندلى » تتطوع مجموعة من الشباب لاختراق حدود العدو ليصلوا إلى السد ويفتحوه ، لتتدفق المياه إلى قريتهم التى سيقتلها العطش ، وينجح الشباب . ويعودون للقرية وقد استشهد أحدهم ، وتشرب القرية ليلة واحدة ، لأن العدو سيغلق السد فى الصباح عندما يكتشف الأمر .

الجانب الفنى :

قصص هذه المجموعة تمزج بين سيرة حياة نازك الملائكة ، والواقع الممثل لتجارب الآخرين والخيال الذى يخدم فنيا القصص من خلال خلق أحداث أو شخصيات ، وقد بين ذلك الدكتور البراق عبد الهادى فى تقديمه « وعلى الرغم من قدرتها على التخيل بوصفها

شاعرة فإن من الواقع ما يفوق الخيال من حيث القدرة على الإبداع الفنى وإثارة كوامن القارى ونزعاته الإنسانية وبخاصة فى فن القصة التى هى فى الحقيقة وصف لواقع الحال ، واقع ما يشعر به الكاتب القاص ، وما يحس به نحو البيئة من حوله بأسلوب شائق يثير » .

١ - لهذا نجد شخصية الكاتبة واضحة فى القصص سواء كانت هى الراوية أو غير ذلك ولكنه وجودا ليس ثقيلا يشعر به المتلقى .

٢ - رغم أن الكاتبة تناقش فى هذه القصص قضايا علمية واجتماعية فإننا لا نجدها متكلفة أو مقحمة غير متجانسة مع نسيج القصة كما أنها حرصت على أن يكون أسلوبها أدبيا بعيدا عن الأسلوب العلمى الجاف الذى يقع فيه بعض الكتاب .

٣ - الضمائر متنوعة ما بين ضمير المتكلم والغائب أو الجمع بينهما فى أسلوب سردى شاعرى .

٤ - استطاعت الكاتبة الشاعرة أن تتحكم فى الشاعر القابع داخلها ، وتكتب القصة بسماتها الفنية ، آخذة من الشعر ما يفيد القصة ويرتفع بالسرد ، من السرد الحكائى العادى البسيط إلى السرد الفنى المشحون بالدلالات الفنية المتعددة .

* * *

الروايـــــة

• مقدمة

الرواية التاريخية

بين الأدب والتاريخ

اختلف النقاد حول الرواية التاريخية فمنهم من اعترض عليها لأن نشدان التاريخ فى الرواية يعتبر عيبا كما يقول فوكنر « إن العيب كل العيب ، أن نتكلف نشدان التاريخ فى الرواية بشكل يدعو بعض الروائيين والنقاد التقليديين معا ، أن يعدوا الرواية وثيقة من وثائق التاريخ ، وشاهدا من شهود العصر » ويرى فوكنر أيضا أنه « كما لا يستطيع المؤرخ أن يكون روائيا أو أديبا ولو أراد ذلك ، ولو أضنى نفسه من أجله إضفاء ، فإن الروائى لا يستطيع أن يكتب التاريخ بأى معانيه » (فى نظرية الرواية : د. عبد الملك مرتاض) . ويرى يعقوب صنوع وفرح أنطون « أن الرواية التاريخية تختلط فيها الحقائق بالأوهام ، وتضطرب فيها حوادث التاريخ وتشوش على عقول القراء » (مجلة الهلال – العدد مارس ٢٠٠٢ : القصة والرواية : أحمد حسين الطماوى) .

أما النقاد الموافقون على الرواية التاريخية فيرون أن الرواية تهتم بالأحداث التى يغفلها المؤرخون ، ويرون أيضا أن الأدب والتاريخ «يعدان فرعى شجرة واحدة لتفسير تجارب الحياة بغرض إرشاد

الإنسان والسمو به » (لنيدا هتشيون : رواية الرواية التاريخية - مجلة فصول - صيف ١٩٩٣) .

أما جورجي زيدان فيرى « أن الرواية التاريخية تعلم الناس التاريخ وتشوقهم إليه ، وأيد أحمد شوقي الرواية التاريخية » (أحمد حسين الطماوي : القصة والرواية - مجلة الهلال - مارس ٢٠٠٢) :

وقد بين شوقي ذلك في مقدمة روايته « دل وتيمان » أن التاريخ مقابر وخرائب أي شيء فاقد الحياة ، وعندما يتناوله الروائي يبعث فيه الحياة والحيوية فيقول « لعلمي أن التاريخ ليس إلا مقابر وخرائب ، وأن أولى الأقلام بأن يزور مقابر الوطن ويقف على خرائبه قلم عربي تمسكه يد مصري . ومن جهة ثانية لأني أحاول أن أجعل ما همّ وجلّ من حوادث وادي النيل ماضيها وحاضرها وما بينهما من الفترات في عقد من الروايات واسطته الحقيقة ونظامه الخلق والتخييل » .

رغم هذا الاختلاف ، ظهرت أصوات تنادي بمراعاة الوسطية في الجمع بين الفن والتاريخ ، أي لا يطغى التاريخ على الفن فتصير الرواية وثيقة تاريخية مما يجعل القارئ ينصرف عنها إلى كتب التاريخ ، وقد أوضح ذلك أحمد حسين الطحاوي بقوله « إن الرواية التاريخية إذا اعتمدت على التاريخ وتضاءل فيها الخيال ، بحيث لم تعد مشوشة على العقول ، فإنها والحالة هذه يكون التاريخ أفضل منها ، أما إذا توسعت في الخيال وتضاءل التاريخ فإنها تكون رواية مبتدعة أو شبه مبتدعة ولا يصح أن تكون رواية تاريخية لأن التاريخ لا يبتدع ، وقد تكون مفيدة إذا كانت إسقاطا على عصر المؤلف أو شيء

فيه ، وهى على وجه العموم أقل درجة من الرواية الاجتماعية أو النفسية النخيلة لاستنادها على حوادث التاريخ » (أحمد حسين الطماوى : القصة والرواية - مجلة الهلال - ٢٠٠٢) .

لا شك أن الرواية التاريخية تعطى القارئ المتعة الفنية والمتعة الفكرية المذابة فى العمل الفنى ، وقد أدرك المؤرخون أنفسهم هذه الحقيقة فحرصوا فى دراساتهم أن يكون أسلوبهم أدبيا جذابا يذهب ثقل المادة التاريخية على القارئ .

وقد بين أرسطو الفرق بين المؤرخ والأديب فقال « إن المؤرخ لا يستطيع أن يخرج عن رواية الأحداث الفعلية من تفاصيل الماضى ، أما الأديب فله أن يروى كل ما يمكن أو يحتمل أن يحدث ، وبذلك فمجاله أرحب فى التعامل مع العموميات ، ولأن الأديب غير مقيد بالتتابع الخطى للكتابة التاريخية فإن حبكته قد تتبع وحدات مختلفة » (ليندا هتشيون : رواية الرواية التاريخية - مجلة فصول - صيف ١٩٩٣) .

قد يصف الروائى شخصيات من خياله لإثراء العمل الأدبى ، وهذا لا ضير فيه بشرط أن يذكر الروائى ذلك فى مقدمة الرواية ، وقد حرص بعض الكتاب على هذا التوضيح ليتعرف القارئ على الشخصيات الحقيقة والشخصيات الخيالية .

التاريخ مصدر ثرى يمد الأدباء بالمادة السخية التى تثرى العمل الأدبى رواية أو قصة أو قصيدة ، وقد أوضح أحمد شوقى فى مقدمته لرواية « دلّ ونيمان » أهمية التاريخ بالنسبة للإبداع الأدبى فقال « إن

التاريخ لمنشئ الروايات كالبحر للغواصين لا يضيق الموضع الغزير منه بالخلق الكثير فإذا رزقوا فعلى قدر الاجتهاد » .

الرواية التاريخية وسيلة من وسائل سرد الماضى ، كما قال إمبرتو إيكو إن هناك طرقا ثلاثا لسرد الماضى : « الرومانسى ، أى الحكاية الخيالية، وحكاية المغامرات الفنية ، والرواية التاريخية » .

إن استفادة الأدباء من التاريخ هو إحياء له وجعله ماثلا دائماً فى الأذهان على مر الأجيال ، وهذا أفضل من تركه حبيس الأدراج أو مشبوحا على الجدران .

* * *

أمير الشعراء ... روائيًا

دراسة فى روايات أحمد شوقى

- ١ -

عذراء الهند

الأديب فعلا يصنع التاريخ ، بمعنى أنه يكتب العمل الإبداعى المؤثر الذى ينفعل معه القارئ ويتأثر به ، فيحدث فيه التغيير ، لأن الأديب فى هذه الحالة لا يكتب أدباً تنفيسياً ليريح القارئ روحاً وعقلا ، فينفجر فيه روح التمرد والتغيير .

وقع فى يدى مصادفة الطبعة الأولى من رواية « دل وتيمان » عام ١٨٩٩ ، لأمير الشعراء أحمد شوقى . كانت مفاجأة ، والمفاجأة الثانية أنى عندما قرأت مقدمة هذه الرواية وجدت أمير الشعراء يذكر اسم روايتين أخريين هما رواية « عذراء الهند » ورواية « لادياس » .

ورواية « دل وتيمان » مكتوب على غلافها (رواية دل وتيمان . أو آخر الفراعنة ، تأليف : شاعر مصر فى هذا العصر أحمد شوقى . حقوق الطبع والترجمة والنقل إلى التمثيل محفوظة لمجلة الموسوعات . الطبعة الأولى . طبع بمطبعة الآداب والمؤيد فى مصر سنة ١٨٩٩ .

أجلت البحث عن الروايتين المذكورتين لانشغالى ، ولكن فكرة البحث ظلت تطاردنى ، فكنت أسأل بعض من أقابلهم من الأدباء وأساتذة الجامعة ، فلم أحظ بأية معلومات مفيدة . حتى التقيت

صديقى الحميم الأديب الباحث الأستاذ أحمد حسين الطماوى ، فذكرت له قصة هذه الروايات ، فأمدنى بمعلومات وافيه عنها ، وأخبرنى أن لديه نسخة مصورة من روايتى « ورقة الأسى » و « لادياس» ، وأهدانى مشكوراً نسخة مصورة من الروايتين وما كتبه الدكتور محمد صبرى السربونى . رحمه الله . فى الشوقيات . الجزء الأول ، وجورجى زيدان ، والشيخ اليازجى عن رواية « عذراء الهند » ، وأخبرنى أن هذه الرواية غير موجودة ، ولن تجدها فى أى مكان ، وقد ذكر الدكتور السربونى فى الشوقيات . الجزء الأول ما يفيد ضياع هذه الرواية فقال فى الهامش «كانت توجد نسخة من هذه الرواية فى مكتبة طلعت بالقلعة وقد استعارها أحد الأدباء من تسع سنوات خلت ولم يردها إلى الدار » .

وقد وجدت مكتوبا على غلاف رواية «لادياس» ما يلى :

(رواية لادياس . أوآخر الفراعنة . تأليف أحمد شوقى . حقوق الطبع محفوظة ، تطلب من المكتبة التجارية الكبرى) مما يدل على أن هذه الرواية طبعت طبعة ثانية .

وفى رواية «دل وتيمان » يذكر شوقى سبب تأليفه هذه الرواية والروايات الأخريات فيقول : « ألقيت أساس هذه الرواية وأنا لا أعلم أن كاتبا مجيدا من أفاضل الألمانيين عتب قبلى هذا الباب من تاريخ قومى القديم حتى قرأت روايته «أميرة مصرية» معربة بقلم أديب فاضل من إخواننا السوريين ، فما رجعت الوراء وما نفضت يدى من البناء العلمى من جهة أن التاريخ ليس إلا «مقابر وخرائب » . كلمة الفيلسوف

الفرنساوى تين .. وأن أولى الأقلام بأن يزور مقابر الوطن ويقف على خرائبه قلم عربى تمسكه يد مصرى .

ومن جهة ثانية لأنى أحاول أن أجعل ما همّ وجلّ من حوادث وادى النيل ماضيها وحاضرها وما بينهما من الفترات فى عقد من الروايات واسطته الحقيقة ونظامه الخلق والتخييل » .

كما يبين شوقى أيضا أنه توخى « تخليص التاريخ وتلخيصه خصوصا بعد روايتى « عذراء الهند » ، و « لادياس » . وثالثا لأن «التاريخ لمنشئ الروايات كالبحر للغواصين لا يضيق الموضع الغزير منه بالخلق الكثير فإذا رزقوا فعلى قدر الاجتهاد والتيسير وهذا ما أسأل الله أن يبلغنى إياه إنه سبحانه منجح الآمال وعليه وحده الاتكال».

ويثير شوقى فى مقدمته هذه أكثر من قضية :

أولها : إن تاريخ مصر يجب أن يكتبه أبناؤها بدلا من الأجنبى حتى ولو كان من المعتدلين ؛ لأنهم أدرى الناس بأسرار تاريخهم ، وأقدرهم على إزالة التراب عنه ، ولهذا قرر أن يكتب روايات تعتمد على ذكر الحقيقة مع استخدام ما يلزم العمل الفنى من خلق شخصيات جديدة ، واستخدام الخيال .

كما رأى أن كتابة الروايات التاريخية هذه والتى تتناول الفترة الفرعونية المليئة بالعجائب والخطوب تحتاج إلى دقة وحسن اختيار ، فقال : « وجاء نحوسة مصر عند ذروة السعد وأوج الكمال فكان موتها فيه يموت آخر الفراعنة » .

لماذا اختار شوقى التاريخ الفرعونى ؟

لقد اختار شوقى التاريخ الفرعونى لبعده عن ذاكرة القراء والمسئولين ولحساسية الفترة السياسية التى يكتب عنها فيتقى بذلك ما قد يجره عليه ذلك من متاعب إذا فكت الرموز ، فهم القصد . وقد أشار إلى ذلك سعيد العريان . رحمه الله . فى تقديمه لرواية «لادياس» فقال : «هذه الصورة الواضحة للسياسة المصرية المحلية فى ذلك الوقت كانت ذات أثر - ولا شك - فى توجيه شوقى نحو هذه القصة ، كما كانت ذات أثر من نوع آخر فى «محاورات بنتاؤر» . أما أثر تلك الصورة السياسية فى توجيه شوقى نحو هذه القصة - بإرادة أو بغير إرادة - فواضح كل الوضوح فى الاقتباس التاريخى الذى اتخذه موضوعا لها ، فهو قد اختار لها عصراً من عصور مصر القديمة كان الفرعون فيه ضعيفاً مستبداً ، قد احتظى الأجانب وأدناهم ومنحهم كل الجاه والسلطة والألقاب والرتب ، وأبعد الوطنيين قادة الجند وجفاهم وحرمهم» .

وثانيهما : إن التاريخ بحر عميق لا يقدر على الغوص فيه إلاّ الغواصون المهرة القادرون على اصطياد الأحداث المهمة والمفيدة ، والتى ينفعل بها الصياد الماهر وتوحى إليه بإبداع أدبى جميل يجمع بين حقائق التاريخ والخيال الذى يضفى على التاريخ الحيوية .

ومن هنا نتبين الفرق بين المؤرخ والأديب ، فالمؤرخ يهتم بالأحداث الكبيرة والتحليل العلمى ، وقد يخضع هذا الاختيار للهوى، أما الأديب فيهتم بالأحداث الثانوية التى غالباً ما يهملها المؤرخ مع أهميتها أيضا ، فيسلط عليها الضوء ويكشف من خلالها حقائق تثرى

نهـر التـاريخ مع الاهتـمـام بـالجـانب الفنى الذى يكشف الحـقـائق التاريخية الجافة الحيـوية لتجذب القارىء ، وهذا ما رأيناه فى الكثير من القـصص التـاريخـيـة التى عـالجت القـضـايا التـاريـخـيـة دون وعظ وإرشاد .

ويـبـين هذا سـعـيـد العـريان . رحـمـه الله - فى تقـديمـه لرواية «لادياس» فيقول : « كان ذلك الاقتباس غير مقصود لتعليم ولا وعظ ولا تحذير ، وإنمـا هى حادثة عرضت للمؤلف فى مطالعاته ، فانفعل بهـا وعـيـه البـاطن ، حـين تفـاعلت حـوادث التـاريخ مع الأحـداث المتزاحمـة فى عصـره، فاتجه بقلب الفنان وعقله نحو تلك الحادثة ليجعلها أساساً لبناء قصة تستند إلى أصل من التاريخ » .

وهذا مـا فعله شوقى فى رواياته ، فقـد أخذ من التـاريخ حـقـائقـه وأضاف إليهـا من الشخصيات الجديدة والخيال ، مما أذهب الملل عن القارئ وقد اتضح ذلك فى الأسـاليب الفنية التى استخدمها فى رواياته «دل وتيمان » ، «لادياس» ، « ورقة الآس» .

لقد تحـدث سـعـيـد العـريان فى تقـديمـه لـرواية « ورقة الآس » عن منهج شوقى فى رواياته فقـال : « والقصص التـاريخى فنون ومذاهب ، ولشوقى فى هذه القـصـة فنه ومذهبه . لقد اخترع أحداثاً وأشخاصـا لم يذكرها أهل التـاريخ ، ولكنه لم يخـرج فى القـصـة بجـملتـهـا عمـا رواه المؤرخون القـدماء . فهو قد ملأ بعض الفجوات ولكنه لم يهدم الربى ، ولم ينكر شيئا أثبته المؤرخون » .

وهنا نتساءل هل يصنع الأديب التاريخ ؟

لقد بين ذلك سعيد العريان فى تقديمه لرواية « ورقة الآس » فقال «إن الأديب الحق هو الذى ينشئ أدباً يحدث الانفعال العام فيكون من أثر هذا الانفعال انتفاضات يمكن أن تصنع تاريخاً جديداً ، أو لابد أن تصنع تاريخا الآن ... لقد كان شوقى أديباً يصنع التاريخ.. تاريخ الماضى وتاريخاً فى المستقبل » .

وهذا ما نراه فى إبداع شوقى كله شعراً وروايات ، إنه يريد أن يؤثر فى الإنسان ويعطيه الدفعة الانفعالية التى تدفعه إلى الآمام وتجعله إنساناً مفيداً إيجابياً يملك إرادة التعبير ،ولهذا كتب لإبداعه الخلود .

ويجدر بنا الآن أن نذكر بعض ما قيل عن قصة « عذراء الهند » فى أوان صدورها ، خاصة وهى ليست بين أيدينا ، ليلم القارئ ببعض المعلومات عنها إلى أن يهيئ لنا الله فرصة الحصول عليها ، ولنثبت للقارئ أن هذه الرواية موجودة وليس كما أنكر أحد الكتاب وجودها ، كما ذكر لى صديقى الأستاذ أحمد حسين الطماوى الذى ردّ على هذا الكاتب بمقال وأثبت بالأدلة وجودها ، وقد أيد هذا الدكتور محمد صبرى السربونى - رحمه الله - فى «الشوقيات المجهولة - الجزء الأول » فقال «نشرت هذه الرواية تباعاً فى جريدة » « الأهرام» تحت عنوان « عذراء الهند وتمدن الفراعنة» من ٢٠ يوليو إلى ٦ أكتوبر ١٨٩٧ ، وظهرت فى كتاب فى أواخر نوفمبر من السنة نفسها ، وهذه الرواية كغيرها من الروايات التى ظهرت بعدها (رواية لا دياس ١٨٩٩ - دل وتيمان ١٨٩٩ - شيطان بنتاؤر ١٩٠١ - ورقة الآس ١٩٠٤ - أميرة

الأندلس ١٩٣٢) ركيكة فى مجموعها لا تبدو روح شوقى فى بعض المواقف الشعرية التى تتخللها » .

وقال جرجى زيدان عن رواية « عذراء الهند » : إنها « رواية غرامية تاريخية لناسج بردها الشاعر المصرى الطائر الصيت أحمد شوقى أحد موظفى الديوان الخديوى . ضمنها تاريخ مصر على عهد رعمسيس الثانى الملقب بسيزوستريس الذى اشتهر بفتوحه وغزواته ، فبين علاقاته السياسية بالهند والشام وسائر العالم المعمور منذ نيف وثلاثة وثلاثين قرناً ، فتخلل ذلك بسط عادات المصريين والهنود وأخلاقهم وخرافاتهم ومعتقداتهم فى تلك الأجيال المظلمة ، وزين الوقائع بأشعار زادت الحديث طلاوة ورقة . والرواية سلسة العبارة رشيقتها ، سهلة المأخذ مع بلاغة ودقة تدل على سلامة ذوق مؤلفها . وقد حلى جيدها باسم مولانا الخديوى المعظم فجعلها تقدمه لسموه إقراراً بما للأمير أعزه الله من الأيدى البيضاء فى تنشيط العلم وأهله» .

وبعد ذلك ذكر جرجى زيدان بعض التصحيحات التاريخية واعتبرها وقعت من شوقى سهواً سبق إليه القلم عفواً .

ومن هذه التصحيحات قوله فى ص ٧ ، إن حوادث الرواية وقعت منذ خمسين قرناً ، ومعلوم أن رعمسيس الثانى من أهل القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، فلا تتجاوز حوادث الرواية القرن الثالث والثلاثين ، وبعد أن يقع منه ذلك عن جهل فى التاريخ لما نعلمه من علمه وفضله وخصوصاً بعد تصريحه أن رعمسيس هذا حكم مصر منذ ٣٣٠٠ سنة.

ومنها أنه ذكر بلادا سماها الهند الغربية ، والهند الغربية على ما نعلم يطلق على جزائر فى قارة أمريكا لم تكن معروفة قبل أواخر القرن الخامس عشر للميلاد ، أم لعله يريد انقسام الهند إلى مملكتين شرقية وغربية فى عصر رعمسيس مما لم نقف عليه .. ويؤخذ من سياق الرواية أن الهوى تمكن من قلبى أشيم وعذراء الهند مع قصر مدة اجتماعهما وهما طفلان مما لم نسمع بمثله . وذكر فى ص ١٣ ممارسة التنويم المغناطيسى ، فهل يريد أنه كان معروفا فى تلك الأزمان ؟ وما دليله ؟

ورأينا الشيخ الهندى السائر فى تلك البرادى المقفرة (ص١٨) يستضىء بسلك معدنى يشعله ، فهل يراد به معدن المغنسيوم المعروف الآن ، وهل دله التاريخ على استخدام ذلك المعدن فى عهد الرعامسة ، ورد فى خلال الرواية ذكر كثير من الحيوانات الخرافية الغربية كالثعبان الهائل الذى ينير نورا باهرا ، والأفيال العراض الطوال فى أجرام الجبال ، والبشر فى صورة القرود ، والببغاء الأسود ، وغير ذلك من غرائب المخلوقات ، ويخال لنا أن المؤلف إنما أراد بإيرادها بيان ما كان يعتقده أهل الهند فى تلك العصور » ، (مجلة الهلال ١/٢/١٨٩٨) .

وكتب أيضاً الشيخ إبراهيم البازجى فى مجلة البيان الجزء ١٤ ، الصادر فى ١٦ ديسمبر ١٨٩٧ عن رواية « عذراء الهند » عارض بعض

المآخذ اللغوية فقال : « رواية عذراء الهند انتهت إلينا نسخة من هذه الرواية العذراء لحضرة منشئها الأديب المتفنن أحمد بك شوقى المشهور – وهى رواية غرامية غريبة السرد تنتهى وقائعها إلى زمن رعمسيس الثانى المعروف باسم سيزوستريس أحد فراعنة مصر الأقدمين من عهد لا يقل عن ثلاثة وثلاثين قرناً من الدهر ، وتبين لنا بعد تصفح جانب منها أن مؤلفها لم يقصد من وضعها إلا تمثيل ما كان عليه أهل ذلك العصر من الخرافات الوهمية والصور الخيالية من نحو ثعابين خضر الألوان تنتصب على أطراف أذنابها فى صورة أمهات الصور ، وأخرى تعانق الأشجار وتتدفق الأنوار وأفيال عراض طول فى أجرام اجبال تتخذ الطير فى أذانها وظهورها أركاسراً ، وناس فى صورة القردة ولهم خفة المردة ، وشيخ كلما وقعت عينه على جماعة منهم راحت نائمة وهى قائمة ، إلى ما شاكل ذلك مما لا نطل تعداد ولا نتعرض لما وراءه من قصص الرواية وتلخيص وقائعها لأنا لم نجد ثمة شيئاً مما يتوخاه واضعو الروايات في هذه الأيام من المغازى الحكمية أو الأغراض الأدبية أو الحقائق التاريخية ، ولذا فإنا نتخطى موضوع الرواية إلى ما ألبسته من العبارة العربية نومئ إلى بعض ما فيها من مطارح النظر قضاء لحق النقد ووفاء بما أرصدنا له أنفسنا من الخدمة العلمية وهو ولا جرم شأن كنا نود التفادى منه حرصاً على ولاء المؤلف لعلمنا بما للنقد من الوقع فى نفوس الكثيرين من أدبائنا بالقياس إلى ما ألفوه من نغم كثير من الجرائد وتهافتهاعلى الإطراء

تزلفاً وتمويها أو جهلاً وتقصيراً ، ومعاذ الله أن نكون ممن يقبل على الحق رشوة أو يرضى من أمانة العلم ثمناً » .

ثم يبدأ الشيخ اليازجى فى ذكر الأخطاء اللغوية نورد بعضها فقال : (« وأجذبهم بأزمة الرأى العام وأمتنهم إعلاقاً فى القلوب » . يريد بالإعلاق العائق وهى لاتأتى بهذا المعنى إنما الأعلاق جمع علق بالكسر وهو الشيء النفيس ، وقوله « وأجذبهم بأزمة الرأى العام» يريد وأجمعهم لأهواء النفوس ونحو ذلك ، فجاء بهذه العبارة الغريبة وإنما هى من المواضعات الإفرنجية درجت عليها لغة الجرائد العربية فى هذه الأيام وقوله فى صفحة ١٤ « فأطرق النجم برهة » . يعنى هنيهة من الزمان وإنما البرهة الزمن الطويل واستعمالها للزمن القصير من أوهام العامة) .

ونكتفى بهذا القدر كمثال لنوعية النقد وعلاقة الناقد بالمبدع علاقة فيها تقدير واحترام .

ثم يختم الشيخ اليازجى مقاله بقوله « ويشهد الله ، إنا كنا نود للمؤلف لو لم يُحر بهذا التأليف قلماً فإن الرجل معروف بالشعر من الطبقة العالية مشهود له فيه بأنه من الطراز الأول ، وحقيق بمن بلغ فى أمر من الأمور منزلة يكون فيها من رؤساء أربابه أن لا يتصدى للدخول فى فئة ينزل فيها عن رتبته ويعد بينهم آخر ، فإن إهمال بعض الأمر لا عيب فيه إذ لا يتعين على المرء الاشتغال بالأمور كلها ولكن العيب كل العيب على من انتحل أمرا وقصر فيه » .

* * *

ليس عيبا أن يكتب الأديب فى أكثر من جنس أدبى ؛ لأن هذا يخضع لطبيعة الموضوع الذى يفرض الشكل المناسب له . وبالنسبة لشاعر كشوقى فرضت القضايا المطروحة فى عصره التى لا يتسع لها وعاء الشعر أن يتناولها فى الشكل الروائى المناسب لهذه القضايا ، وقد يكون هدفه أن يدخل فى الرواية المصرية فى حساب التاريخ شأنه فى ذلك شأن توفيق الحكيم الذى أراد أن يسد الهوة الكبيرة التى كانت موجودة بيننا وبين الغرب فى الفن المسرحى .

* * *

أحمد شوقي في روايته الثانية (لا دياس)

هذه الرواية تعتبر الثانية في ترتيب الصدور ، فقد صدرت بعد رواية « عذراء الهند » في عام ١٨٩٩ ، وصدر بعدها في العام نفسه رواية «دل وتيمان» التي تعتبر متممة لأحداث رواية «لادياس» . وهذه النسخة التي بين أيدينا هي الطبعة الثانية ، طبعت بمطابع المكتبة التجارية الكبرى .

وجاء على الغلاف رواية «لادياس» أو آخر الفراعنة ، تأليف : أحمد شوقي .

وقدم لهذه النسخة الأستاذ محمد سعيد العريان ـ رحمه الله ـ بمقدمة تحدث فيها عن مضمون الرواية وما توحي به بما يحدث في مصر من أحداث تشبه تلك الأحداث التي وقعت في عصر فرعون مصر ، ويذكر أن هذه الرواية « نشرت في مجلة كانت تصدر في مصر في أواخر القرن الماضي باسم مجلة الموسوعات أو لحسابها ، ولم تقف على هذه المجلة أو نطلع على شيء من أعدادها ، وإنما دفعت لنا نسخة كاملة من القصة مكتوب على غلافها « تأليف شاعر مصر في هذا العصر أحمد شوقي ، حقوق الطبع والترجمة والنقل إلى التمثيل محفوظة لمجلة الموسوعات ، الطبعة الأولى في مطبعة الآداب والمؤيد سنة ١٨٩٩ » .

ويذكر أيضاً « كانت أول معلوماتنا عن تاريخ هذه القصة ، على أننا لا نكاد نمضي مرحلة في قراءة هذه الطبعة حتى نجد في نهاية

الصفحة الثامنة منها كلمة من الكلمات التقليدية هى «البقية تأتى» فيخيل إلينا من هذه الكلمة أن القصة نشرت أول ما نشرت منجمة فى مجلة الموسوعات . ثم جمعت صفحاتها بعد ذلك متتابعة فى غلاف واحد ، وقد كان من عادة بعض المجلات فى ذلك العصر الذى نشرت فيه القصة ، وإلى عهد قريب جداً أن تنشر بعض الكتب منجمة ، مع ترقيم صفحاتها ترقيما خاصا متتابعا ، ليستطيع من يشاء أن يفصل أجزاء ذلك الكتاب عن أعداد المجلة » .

ثم يقول إنه «مهما يكن من أمر الطريقة التى صدرت بها الطبعة الأولى من هذه القصة . فإن مما لا شك فيه أنها قد نشرت على الناس أول مرة فى سنة ١٨٩٩ ، وشوقى يومئذ فى الثلاثين من عمره » . وهذه الرواية تحكى قصة حب وكفاح ومغامرة ، وسياسة ، وهى ترتكز على محورين أساسيين هما التاريخ والحب ، وقد نسج شوقى روايته من هذين المحورين ، مبينا أن الحب الحقيقى كفاح وصبر ، وفداء لحماية الحبيبة .

والرواية تجرى أحداثها بين مصر واليونان ، وتقع قبيل ولاية الفرعون «أمازيس» عرش مصر إلى أن آل إليه الحكم ، وهذا الفرعون هو الذى يسميه شوقى «حماس» تعريبا لكلمة «أمازيس» .

و «لادياس» هى بنت الملك بوليفراط صاحب «ساموس» إحدى ممالك اليونان فى غابر الزمان ، جميلة مدللة ، معتزة بنفسها ، حدد والدها شروطا تطرح على طالب الزواج ، فزواجها ليس زواجاً عاديا ،

فـلا بد أن ترضى هى على من يطلبـهـا ، ويأذن الملك ، وتصـادق المملكة بعد ذلك ، فالشروط حسب اقتراحها « أن يكون المتعرض لخطبتى الراغب فى صحبتى فتى بين العشرين إلى الثلاثين فائق النظراء والأمثال فى الشجاعة والحكمة والجمال ، والملك يشترط أن يكون صهره ملكاً سواء نال بكده وجده أو توارثه من أبيه بعد جده . والمملكة تريد أن يرفع بعلى لآلهة اليونان ، أربعين هيكلا مشيدة البنيان ، فى البلاد التى له فيها الملك والسلطان ، ويتحدد ذلك بامتحان من ينجح فيه يفز بالأميرة » .

وتدور حول المتقدمين للفوز بالأميرة ، ويضيق ابن عمها المغرم بها ، ولكن لا يستطيع زواجها لخصومته لعمه الذى طرده من المملكة، فيقوم بخطفها ، ويأمر الملك عساكره ، وأعوانه من رجال العصابات بالبحث عنها ، وبعد جهد ومغامرات مضنية يجدها «حماس» وينقذها من أيدى الخاطفين ، وتعرف الأميرة حقيقة الجهود التى بذلها «حماس» لإنقاذها فتعجب به وتحبه .. وتتزين المملكة لعودة الأميرة والبطل «حماس» ويوافق الملك على زواجهما ويأمر بالاستعداد للزفاف ، ولكن «حماس» يستأذن الملك فى تأخير الزواج، فسأله الملك عن السبب ، فأجابه حماس بقوله « حتى أستوفى الشرط الأول من شروط القران ، أما العقد فلا يكون إلا فى آخر هيكل من الهياكل الأربعين اليونانية التى سأبنيها لعروسى الفخمة فى بلادى ووطن آبائى وأجدادى » وافق الملك على طلب «حماس» وأكر بإعداد العدة لسفره فجهزوا ثلاثا من السفن السلطانية ، «ولما كان يوم

الرحيل ركب فى واحدة منها بين خلق لا يحصى من الشعب الساموسى خاصة مشيعين ضيفهم الغالى بالقلوب والأبصار ثم تحركت الفلك تشق به العباب وتغالب التيار » . وعاد حماس بعدما أنجز الشروط المطلوبة ، وتشاء الظروف أن تعرف خيانة «أبرياس» وضعفه أمام الأجانب ، ويتطلع الشعب للخلاص من «أبرياس» وكان الخلاص على يد «حماس» الفتى البطل الشهم .

ويشير شوقى خلال الرواية إلى ما وصل إليه حال مصر فى عصر الملك «أبرياس» من ضيق وغضب من ضعف الملك وجبنه فى مواجهة الفرس الذين - رغم طمعهم فى غزوها - يحملون لمصر كل التقدير لحضارتها « إلا أن فارس مع ما هى عليه من سعود الطالع ويمن الأمر والثقة من الدهر كانت لا تزال تهاب مصر فى ماضيها بقدر ما كان ملكها « كيروش » جميل الظن فى الحضارة المصرية شديد الإعجاب بها مؤملاً منها المنفعة لمملكته الناشئة والخبر لأمته الحديثة العهد بالفخار والمجد وكل من قرأ تاريخ هذا الملك الحكيم وتأمل معاملته لفرعون مدة حكمه الطويل عرف لأول وهلة أنه إنما كان يريد أن تبقى مصر - ولو إلى حين - بمثابة مدرسة كبرى للفرس يحذون فى المجد مثالها ويسيرون فيهاعلى نهجها الفاخر الجليل » (الرواية ص١٠٤) .

وظلت مصر فى انتظار الوقوع فى يد الفرس أيام « أبرياس » ، ولكن مصر المحروسة دائماً كما عودها الدهر أن يعطيها من حيث يحرم وأن يؤمنها من حيث يخيف « كان قد احتاط لملكها فهيأله من

هو أصلح له ومن يقيه السقوط فى الهوة التى كان « أبرياس » يد حرجه إليها فإن الجند فى مصر ما لبثوا أن سخطوا على الملك وسياسته المبنية على هجر المعالى ، معالى الفتح والانتصار والانكماش فى مثل سلو البهائم حتى أوشك الشرف العسكرى ، المصرى أن يؤذى من دوام هذه الحال (الرواية ص ١٠٥) .

وتخلصت مصر من « أبرياس » على يد « حماس » الجندى الشجاع الذى ألحقه الملك فى خدمته ، واعتلى عرش مصر .

الترصيع الشعرى

بدأ شوقى روايته بأربعة أبيات من الشعر كمدخل للرواية ، يمهد به للأحداث كعنصر تشويق ، يجذب القارى لمتابعة الرواية فيقول :

فلك الممالك أنت فيه ذكاء
يا ملكة فى ظلها الأمراء
خلع الجمال عليك حلة عزه
وكستك ثوب جلالها النعماء
يازينة اليونان أنت لأفقها
نجم وأنت لنجمها أضواء
حواء أمك أم كل مليحة
لكن مثلك لم تلد حواء

وبعد ذلك يدخل شوقى فى الأحداث مباشرة ، بادئاً بحادثة محركة للرواية ، وتوحى بوقوع بعض المغامرات التى اعتمد عليها شوقى كثيرا ، وهى زواج الأميرة والشروط الموضوعة للفوز بها .

ونرى أحمد شوقى ينثر بعض الأبيات أو المقطعات الشعرية ، تعليقاً على موقف ، أو تمهيداً للدخول فى موقف ، من هذه الأبيات :

فقـل لبقراط لقـــد كان مـا
خفت وجد الزمن الهـــازل
أمسيت لا دارك مملـــوءة
أنساً ولا الصفو بها كامـــل
قد نـام ذو جـــوع وذو غفلة
ونام حافى الناس والناعـــل
ونـام فى السجن سجين به
ونام من أبعدت والواصــــل
وأنت فى قصرك أنت السها
لانـــوم لا إغفـاء يـا ثاكل

فعرف الملك من هذه الأبيات أن مكروهاً وقع لابنته فيسأل البنات عن الأميرة فيخبرنه بأنها اختطفت .

وهذا الشعر الذى أدخله شوقى فى الرواية يدخل بعضه فى نسيج الرواية ، والبعض الآخر يمكن الاستغناء عنه مثل الأبيات التى يكررها «حماس» دائماً عند لقائه الأعداء معبراً بها عن شجاعته وجرأته .

الشخصيات :

تشتمل الرواية على شخصيات رئيسة إيجابية تؤثر فى الأحداث

وتحركها ، مثل الملك بوليقراط ، ابنته الأميرة لآدياس بيروس ابن عم الأميرة المنشق على عمه أبرياس ، « حماس » الذى تولى الحكم بعد أبرياس . وشخصيات أخرى ثانوية ، وهى ليست شخصيات سلبية ولكنها تقوم بدور إيجابى فى إبداء النصح والتوجيه .

وقد اهتم شوقى برسم الشخصيات من الخارج لبيان هيئتها وهيبتها ، كما رسمها من الداخل كاشفاً عما يدور فى أعماقها وفى رأسها من أفكار .

كما استخدم شوقى الحوار استخداماً فنياً لتنمية الأحداث . وهنا نتساءل :لماذا اختار شوقى موضوع هذه الرواية من التاريخ القديم؟ كان على شاعر كبير مثل شوقى وله مكانة مهمة عند الأسرة الحاكمة المصرية أن يلجأ إلى التمويه عندما يعالج الوضع السياسى فى مصر حتى لا يكشف عن هدفه تحاشياً للمتاعب ، لذلك لجأ إلى التاريخ القديم البعيد عن ذاكرة القراء ولا يخطر على بال من يهمهم الأمر . من هنا جاء حرصه على ألا يذكر أية إشارة واضحة وضوحاً تاماً بل نراه يرمز إلى ما يريد ، وقد جاء ذلك قليلا لينفس عما يمور فى داخله داخله عن الوضع السياسى فى مصر ، وعن النزاع بين الشعب والعرش فى عهد إسماعيل ومن بعده توفيق .

وقد أشار الأستاذ محمد سعيد العريان بقوله فى مقدمة الرواية إلي أن أحمد شوقى إمعاناً فى التمويه اختار « عصراً من عصور مصر القديمة، كان الفرعون فيه ضعيفاً مستبداً ، قد احتظى الأجانب وأدناهم ومنحهم كل الجاه والسلطة والألقاب والرتب ، وأبعد الوطنيين من قادة الجند .. وفى هذا الجو بدأت حوادث القصة تهيئ

لقائد الجند المحبوب «أمازيس» أن يتمرد على الفرعون ويثور به ليغلبه على العرش والتاج ، ثم تتحقق العاقبة السعيدة للشعب على الملك الباغى » « ص ٧ » .

البناء الفنى

لقد حرص شوقى على استخدام أسلوب الجناس فى الرواية بشكل واضح مما أصاب الأسلوب بالتكلف ، وعدم الانسيابية ، وفقدان الحرارة والانفعال .

كما أن استخدام شوقى الأحداث المتسمة بالمغامرات أدى إلى تشابك الأحداث مما أوجد بعض الثغرات الفنية .

كما نرى أن الباب الثانى الذى ألحقه شوقى فى الرواية يعتبر جزءاً منفصلاً عن الرواية أورده شوقى ليشرح بعض المواقف ويلقى الأضواء على بعض الشخصيات .

إن إبداع شوقى الروائى « عذراء الهند » . « لادياس » « دل رتيمان» تراث أدبى مهم يكشف عن جانب جديد راده شوقى واجتهد فيه يضاف إلى تراثه الإبداعى الشعرى والمسرحى .

وهذا دائما نهج الرواد لأنهم يعرفون أن الريادة ليست كلاماً فقط ولكنها عمل وجهد وإنتاج متواصل بحثاً عن الجديد المفيد . ويبقى لهؤلاء الرواد حسن الاجتهاد وثوابه .

أتمنى أن تطبع هذه الروايات الثلاثة التى ظلت فى طى المجهول لا يعلم عنها أحد شيئا ، إلا النادر من الدارسين لتكون بين أيدى الدارسين والنقاد .

« دل وتيمان »

صدرت الطبعة الأولى من هذه الرواية كما هو مكتوب على غلافها سنه ١٨٩٩ ، وطبعت بمطابع الآداب والمؤيد بمصر والعنوان كما هو مكتوب على الغلاف : « رواية دل وتيمان- أو آخر الفراعنة » تأليف شاعر مصر فى هذا الزمان أحمد شوقى حقوق الطبع والترجمة والنقل إلى التمثيل محفوظة لمجلة الموسوعات ، وهى المجلة التى نشرت الرواية فى حلقات .

ويأتى ترتيب هذه الرواية الثالثة فى إنتاج أحمد شوقى الروائى كما ذكر الدكتور محمد صبرى السربونى فى الشوقيات المجهولة جـ١ « عذراء الهند » وتمدن الفراعنة » وقد صدرت من ٢٠ يوليو إلى ٦ أكتوبر ١٨٩٧ ، وظهرت فى كتاب فى أواخر نوفمبر من السنة نفسها ، وقد فقدت هذه الرواية ، ثم صدر بعدها رواية لادياس ١٨٩٩ ،دل وتيمان ١٨٩٩ ، شيطان بنتاؤور ١٩٠١ ، ورقة الآس ١٩٠٤ ، أميرة الأندلس ١٩٣٢ .

أما الأستاذ سعيد العريان فلم يذكر هذه الرواية فى حديثه عن رواية « لادياس » فقال « هذه قصة أخرى للمرحوم أحمد شوقى ، تضاف إلى قصصه عن مجنون ليلى وكليوباترا وعلى بك الكبير وعنترة .

وقد كتب أحمد شوقى رواية دل وتيمان فى صدر شبابه وهو فى سن الثلاثين ، حيث صدرت فى العام نفسه الذى صدرت فيه رواية

« لادياس وهى تتناول الصراع بين الفرعون « إبرياس وأمازيس على العرش وانتهاء الصراع بانتصار أمازيس .

وقد استكمل شوقى فى رواية « دل وتيمان » بقية الأحداث ابتداء من مرحلة جديدة مستقلة ، وقد حرص شوقى على إيضاح بعض المواقف وبعض أسماء الشخصيات المستمرة فى الروايتين .

رواية « دل وتيمان » أوآخر الفراعنة تدور على محورين أساسيين الأول تاريخى تجرى أحداثه فيعهد فرعون مصر أمازيس الذى تولى الحكم بعد « أبرياس » والثانى رومانسى يحكى قصة غرام بين « دل » الأميرة السجينة وحارسها الهمام «تيمان » وقد عزف شوقى على الوترين بمقدرة فنية وتحكم فى الأحداث والأماكن رغم تعددها .

آثر شوقى الدخول إلى الرواية بمدخل رومانسى ليجذب القارئ إلى الرواية ، فبدأ الفصل بأبيات شعرية ، بدأها بالبيتين التاليين :

أحوم على حسنكم ما أحوم   وأذكركم بطلوع النجوم

وأصبو إليكم وأشتاقكم   كما اشتاق طيب الشفاء السقيم

وهى وزن المتقارب (فعولن)

كما ختم الرواية بأبيات مهمة بدأها بقوله :

لارعاك التاريخ يا يوم قمبيز ولا طنطنت بك الأنباء

وهى على وزن الخفيف (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن) .

وبين البداية والنهاية نقرأ أبياتاً متنوعة متناثرة فى الرواية تعبر عن مواقف رومانسية أو مواقف بطولية ، وهى تدخل فى نسيج الرواية ولا تبدو شاذة .

وهذا الشعر له أثر نفسي عند القارئ حيث يشعر معه بالراحة والاستمتاع الفني . مما يجعله يواصل قراءة الرواية دون شعور بملل أو ضيق ، ويفجر هذا الغرام المكبوت في قلب تيمان حديث البستاني العجوز « إحيا » الذي لفت نظره إلى غرام الأميرة أيضاً .

ويعيش « تيمان » مع حبه ، حتى تجمعه الصدفة مع الأميرة « دل » في بستان القصر ، فيتكاشفان ، ويتعاهدان على الوفاء ، وعدم الفراق إلا بالموت .

لكن الأحداث تجرى بما لا يشتهى الحبيبان ، حيث يستدرج أمازيس بمكر «دل ليحصل منها على موافقتها على زواجها من قمبيز بدلا من ابنته التي رفضته إنقاذا للبلاد من غزو قمبيز واستيلائه عليها ، توافق «دل» على الزواج خدمة لمصر ، وحماية لها من غزو الفرس ، ولكن عاهدت نفسها في سرها ألا تخون حبيبها وفاء لعهدهما .

وينتقل شوقي بين المحورين مازجا بينهما في قدرة فنية ، كما استخدم أحمد شوقي عناصر فنية مختلفة مثل الحلم ، وروح الشيخ المعلم التي تزور «تيمان» كلما اقتضت الضرورة لتوجيهه وإرشاده ، وحديث النفس ، وكذلك بعض المفاجآت التي يكشف عنها الواحدة بعد الأخرى ، مثل الكشف عن حقيقة «تيمان» فهو ليس جنديا عاديا ولكنه أمير ، اسمه ليس «تيمان» ولكن اسمه «يوهاشم» وقد عرفنا من حديث الشيخ المعلم للأميرة «دل» عن «تيمان» فقال : «أنا الكاهن الأشورى الساحر البابلي «برمبال» أقر في هذه الحجرة المقدسة بأني

اختطفت الأمير يوهاشيم أصغر أنجال الملك « سدسياس» ملك بيت المقدس وصديق ساكن هذا القبر الملك « أيرياس » لأنجيه من القتل وأربيه في الديانة الأشورية فكانت على يدى نجاته دون إخوته وأبيه وسائر أسرته .. وإنى قد كشف لى أن يومى مرهون بيوم الأمير وأن عمرينا موصولان بحبل من محتوم المقادير » .

وكذلك نعرف أن «دل» ليس اسم الأميرة الحقيقى ، ولكنه اسم فنى اختاره شوقى للرواية ، واسمها الحقيقى هو «نيتياس» ، ويقول شوقى واصفا حال الأميرة : « أما القصر الذى فى شرقها كان لفتاة من بنات الملك والسلطان ، وثمرات العروش والتيجان .

ولدت فيه شقية بسعدها . ثم نشأت فيه سجينة مهدها وخرجت منه رهينة لحدها ، وهذه الفتاة هى «دل» فى الرواية وتعرف فى التاريخ بالأميرة «نيتياس» . خرج الشعب على والدها الملك «أبرياس» فعزلوه ثم قتلوه ومن معه ، وكان «حماس أمازيس» وهو زعيم العصاة ، وهنا نلاحظ أن أحمد شوقى يبين سبب ما نزل بالأميرة للقارئ الذى لم يقرأ الرواية السابقة «لادياس» .

كما نكتشف أيضا أن الشيخ المعلم لم يمت بل هو حى ، وأن «أحياء» البستانى هو أخ للشيخ المعلم «بترميس» ، ويشترك الاثنان فى الحرب دفاعاً عن مصر الحبيبة .

كما نفاجأ أيضا بمشاركة «دل» فى الحرب بجانب حبيبها تيمان» دفاعا عن مصر الوطن العزيز الغالى . وقد ماتا معا فى ساحة الشرف .

أما الحلم فهو يذكرنا بحلم يوسف ، الذى كشف عن مستقبل يوسف ، ولكن رغم هذا استمر الأداء القرآني يسرد الأحداث ليبين فى نهاية السورة صدق الحلم .

لقد رأى قمبيز « كأن عرشى على الماء ، وكأن أبواب السماء ، انفتحت لذروة إيوانى الشماء ، فما زالت تسمو فى السنا والسناء ، حتى خشيت أن ينقلنى البناء إلى عالم اللطف والضياء ، ثم رأيت كأنى أسير فى ضوء شمس زهراء ، فحاولتها فلما ظننت أنى نلتها احترقت فإذا هى هباء . هذه رؤياى أيها الرئيس الجليل ، فما عندك لها من تأويل .

فقال الشيخ الأعمى : « سيكون لك ملك كبير ، وأما العرش على الماء فعرش الفراعنة العظماء . وأما الشمس التى حاولها الملك سدى فغفله الذى فى رأسه سوف يخرج منه فيتفرق شعاعاً فيذهب الشعاع هباء فلا يملك له رداً ولا إدناء » .

ثم قال الشيخ بصراحة إن السماء ستكون معك على فرعون « لا لأنها قنطرة لركوب الظالمين على دماء العالمين ، لكن لأنك طاغ كذلك باغ ، فهى إنما تسلط الرعد على الرعد ، وهذى سننها فى الملك من قبل ومن بعد . هذا بعد موت أمازيس فوعونها الذى صانها من أبيك . وما ينفك قادرا على صونها ، فإذا هو هلك . وقام ابنه من بعده وملك ؛ وطأتها خيلك المدمرة ، ودهمتها جنودك المتبربرة فهدت كيانها . وهدمت فى المجد بنيانها . ومحت هياكلها الفاخرة » .

ويبقى بعد تفسير الحلم أن يتابع القارئ أحداث الرواية ليعرف هل سيتحقق الحلم أم لا ؟

وأحمد شوقى يربط بذكاء بين ما سيحدث لقمبيز وما سيحدث لمصر يتحكم فيها الأجانب ، ولكنه يبين أن أى غاز يغزو مصر يرى هلاكه ونهايته . فمصر مقبرة الغزاة مهما بلغوا من قوة ، ويقول الشيخ « إن الكهنة الأولين أصحاب الآلهة العالين قد أخبروا وحدثوا وأورثونا فيما أورثوا أنه يأتى زمن على مصر الوطن تكون للأجانب أبدا وفى المصائب سرمدا ، لكنهم نبأوا كذلك أنه لا يملكها من الأجانب مالك ، إلا كان هو وقومه وقفا على المهالك ، ولو أنه قمبيز رب الممالك » .

فشوقى فى هذه الفقرة وفى غيرها من الفقرات التى ينثرها داخل الرواية يرمز بها إلى وضع مصر السياسى ، وما فيه من صراعات فى عصره ، وقد اضطر شوقى إلى هذا التمويه فى اختيار الموضوع ، وفى حديثه عما تعانيه مصر من خلافات . لقد ركز شوقى فى الفصلين الأخيرين على الاستعداد الكبير للقتال لدى المصريين لمواجهة قمبيز ، وأبرز شوقى وحدة الشعب المصرى وقدرته على توحيد صفوفه لمواجهة المخاطر الكبرى التى تتهدد الوطن الغالى ، وكذلك نرى اليونانيين المقيمين بمصر يستعدون للدفاع عن مصر ضد قمبيز ، لأنهم يعرفون أن بقاء مصر سليمة حرة سلام لهم جميعا .

كان كل الذين يعيشون على أرض مصر يستعدون للموت من أجلها ، فالأميرة «دل» أو «نيتياس» تشترك فى الحرب بجانب

«تيمان»، وكذلك نرى إصرار الشيخين «أحيا» والشيخ الأعمى على المشاركة فى الحرب .

احتشد المصريون لمواجهة جيش قمبيز ، وأبلوا بلاءً حسناً فى القتال ، وكاد النصر أن يكون حليفهم لولا الخدعة التى لجأ إليها الفرس، وهى أنهم حملوا القطط ورفعوها على مرأى الأعداء «فكأنما رفعت الراية البيضاء ، لأن هذا الحيوان مقدس عند المصريين ، فلم يكن فى الوسع أن يتخذوه هدفا لسهامهم فكفوا عن الرماية ولم يبق من يقاتل العدو إلا اليونان ، ثم هجم الفرس على هذه الصورة فلم يجدوا من يلقاهم غير القلب فاضطرب لصدمتهم الهائلة وقاتل اليونان مستقتلين إلى أن فنى منهم الخلق الكثير ، أما المصريون فلم يستمر منهم على القتال بعد رؤية الهرر إلا «تيمان» ومن معه من أتباع موسى» .

وقد ظل الشيخان و «دل» و «تيمان » يقاتلون حتى سقطوا جميعا فى ساحة القتال والشرف .

وبذلك تحقق الحلم الذى رآه قمبيز كما فسره الشيخ المنجم ، ويختم شوقى الرواية بقصيدة هامة قال فى بدايتها :

لا رعاك التاريخ يا يوم	قمبيز ولا طنطنت بك الأيام
دارت الدائرات فيك ونالت	هذه الأمة اليد العسراء

الجوانب الفنية :

- الترصيع الشعرى :

يبدأ شوقى الرواية بأبيات شعرية كمدخل لها ، يتغنى بها بطل الرواية فى محبوبته الأميرة السجينة ، وفيها يصور ما يعانيه من صراع

نفسى بين حبه للأميرة ، وبين خيانة الملك إذا حاول الاقتراب منها ومخالفة أوامره .

والترصيع الشعرى ليس غريباً على شاعر مثل شوقى وعلى غيره من الشعراء عندما يكتبون رواية أو قصة قصيرة ، لأنه محاولة لجذب القارئ ، ويمكن القول بالنسبة لشوقى إنه نجح فى إدخال الأبيات الشعرية فى نسيج الرواية سواء كان تعليقا أو مدخلا للعمل الأدبى .

وللشعر أثر كبير فى نفوس القراء خاصة إذا كانت الرواية رومانسية ، مثل رواية « دل وتيمان » تجمع بين الرومانسية والتاريخية ، فهى تدور حول قصة حب بين البطلين الرئيسيين الأميرة « دل » وحارسها «تيمان» ، وقد اتبع شوقى هذا النهج فى رواياته كلها .

وقد بدأ شوقى الرواية بأبيات شعرية تصور مناجاة «تيمان» لحبيبته «دل» وكشفه عما يعانيه من ألم لبعده عنها ، رغم أن الحائل بينهما فناء واسع وجدار الوصيفات ، فكأننا فرقت بيننا «ممالك فى الحرب تحمى تخوم » .

وما بيننا غير هذا الفناء ... وهذا الجدار وهذى الحريم
وهذى الرياض وهذى الحياض ... وهذا النخيل وهذه الكروم
ونحن كمن فرقت بينهم ... ممالك فى الحرب تحمى تخوم

ويكشف شوقى عن أخلاق «تيمان» الطيبة كجندى يجب عليه عدم خيانة الملك ، ففضل «تيمان» أن يخون قلبه ولا يخون واجبه العسكرى والملك .

وفى الأبيات التى ختم بها شوقى الرواية بعنوان «تاريخ مصر» يبين حال مصر بعد الهزيمة أمام قمبيز . وفرار بساماطيق وتبعه عشرات الآلاف من جدنه ، فيصف الذل الذى ذاقه الملك وابنته :

جىء بالملك العزيز ذليلا   لم تزلزل فؤاده البأساء

يبصر الآل يراح بهم فى   موقف الذل عنوة وبجاء

بنت فرعون فى السلاسل تمشى   أزعج الدهر عريها والحفاء

أما الأبيات المنثورة داخل الرواية فهى تعبر عن بعض المواقف مما يساعد على تنمية الحدث ، ويبدو أن أحمد شوقى لم يكتب رواية للقراءة فقط ، ولكن وضع فى حسبانه أنها قد تحول إلى مسرحية ، عندئذ يصلح هذا الشعر أن تتغنى به الجوقة تعليقا على الأحداث .

التضمين :

لقد ضمن شوقى الرواية بعض الأمثال العربية ، كما اقتبس من القرآن الكريم .

فمن الأمثال العربية « تقطع جهيزة قول كل خطيب » ، والاقتباس من القرآن الكريم مثل «وإن الساعة آتية لا ريب فيها » و « خير أمة أخرجت للناس » .

الحوار :

يدرك أحمد شوقى أهمية الحوار ووظيفته فى الرواية من حيث كشف أبعاد الشخصيات ومستوياتها الفكرية ، ودوره فى تعميق الأفكار علاوة على بث الحركة فى الرواية وكسر ملل السرد الطويل .

والحوار فى هذه الرواية وظف توظيفاً فنياً ، وأدى دوره فى تنمية الأحداث والمكاشفة النفسية بين الشخصيات .

لعب الحوار والشعر دوراً مهماً فى دفع الأحداث ، وتحريكها وجذب القارئ لمتابعة الرواية ، وأضف إلى ذلك المفاجآت التى استخدمها شوقى والتى أشرنا إليها .

الشخصيات :

تشتمل الرواية على عدد من الشخصيات ، منها الشخصيات الرئيسية ، التى تتمحور حول الأحداث ، ومنها الشخصيات الثانوية ، ولكنها تلعب دوراً مهماً فى توجيه الشخصيات الرئيسية .

ومن الشخصيات الرئيسية الأميرة « دل » وحارسها « تيمان » ، وأمازيس الفرعون ، وابنه بساماطيق الذى تولى الحكم بعد وفاة والده ، وملك الفرس قمبيز و « إحيا » بستانى القصر ، وله دور فى حماية «تيمان » ورعايته .

ومن الشخصيات الثانوية : فللوس مساعد تيمان ، خنبوا ابن مناح صاحب الخمارة ، هيت مرافقة الأميرة دل ، فتنت ابنه الملك أمازيس .

وقد رسم شوقى شخصيات الرواية رسماً دقيقاً من الخارج ليحدد ملامح الشخصية ، وسبر أعماق نفوسهم ليكشف عما يمور فى نفسها من انفعالات فى مواقفها المختلفة ، فنجده يصف الأميرة « دل » من الخارج بأنها « فتاة فى الثامنة عشرة مهزوزة القوام . لها اعتدال الرمح

فى رونق الحسام . غضّة شقيق الخدين . سوداء العينين ، بقليل ضيق ممدودة شباك الهدب . صائد القلوب بالنظرة وضّاحة الجبين . شماء العرنين ، كأنها عريقة النسب فى الفراعنة العالين » (الرواية ص ١١) . أما « تيمان » فيصفه بأنه « يلبس حلة بيضاء تكسوه إلى ما تحت الركبتين محلاة الحواشى بالحرير المذهب دلالة على الانتظام فى سلك الجند العظام وعليه درع من نحاس يتقلد فى نهايتها سيفاً شديد اللمعان قصيراً لا يجاوز الركبة ، وهو فى هذا اللباس البهى طويل القامة باعتدال مهزوزها من الرشاقة مشير بالوجه نحو السماء منكشف الجبين بفرق مبين أبيض الوجه باخضرار حلو أوائل ملآن العينين من دلائل الحياة العالية والوجدان الكبير من رآه لا يزيده على العشرين » . (الرواية ص ٥) .

ويصف « إحيا » بستانى القصر بأنه « شيخ يناهز السبعين لا يزيده الرائى على الخمسين نظراً لقوة ونضارة شيخوخته وهو عارى الرأس حتى عن الشعر . طويل اللحية بشيب كامل ليس عليه من اللباس سوئ شئ من القماش يستر عورته » . (الرواية ص ٥) .

وكما رسم شوقى الشخصيات وصف أيضاً الأماكن ، فهو يصف مسكن تيمان بأنه كان فى مكان منعزل عن البيوت « يحيط به الفضاء من كل الجهات وهو عبارة عن طبقة واحدة مربعة الشكل محكمة البناء ، وإن كان خلواً من البهجة والرواء . من رآها ثم نظر إلى مساكن اليونان وهى ناهضة دونها بالمنظر البهيج والمرأى الشائق علم أنها من بناء المصريين القدماء الذين لم يهتموا بمساكنهم فى الحياة الدنيا عشر معشار اهتمامهم بتشييد القبور ؛ لاعتقادهم أن البيت ليس إلا

مأوى يمر به المرء مروراً وأن القبر هو وحده الدار الأبدية » . (الرواية ص ١٤) .

وشخصيات الرواية إيجابية متفاعلة مع بعضها ، متفاهمون ، يعين كل منهم الآخر بالنصح والإرشاد ، وقد استخدم شوقى أكثر من وسيلة فنية لسبر أغوارها ، وكشف ما فيها من إيجابيات وسلبيات ، فاستخدم الحلم ، وحديث النفس ، وروح الشيخ المعلم لتيمان الذى كان يلجأ إليه فى الأزمات .

لقد أحسن شوقى فى اختيار موضوع هذه الرواية ورواياته الأخرى من التاريخ القديم الذى يغيب عن ذاكرة القراء والمسئولين أحياناً ، فيغيب عنهم المقصد والهدف الذى يهدف إليه شوقى ، خاصة أنه بعُد كل البعد عن إيراد أية إسقاطات أو إشارات تجعل القارئ يفهم بسرعة دلالة الرواية . لقد التزم شوقى بذكر الأحداث التاريخية كما هى، حتى يخفى هدفه على القارئ وعلى من يهمهم الأمر ، لأنه لم ينس أنه من الرجال المهمين لديهم .

بقى أن أشير إلى أن هذه الرواية تعتبر جزءاً ثانياً لرواية «لادياس» التى صدرت قبل هذه الرواية فى العام نفسه ، لأن أحداثها تعتبر استمراراً لأحداث رواية « لادياس » ، ولكن يمكن قراءتها كرواية مستقلة ، وقد جعل شوقى لهما عنواناً مشتركاً هو « آخر الفراعنة » . وقد ذكر شوقى فى نهاية رواية « لادياس » « تليها رواية « دل وتيمان » أو آخر الفراعنة وهى متممة لها ويعرف القارئ منها كيف زال ملك الفراعنة » .

رواية « ورقة الآس »

لأمير الشعراء أحمد شوقى

هذه رواية تاريخية أخرى مثل رواياته السابقة استمدها شوقى من التاريخ القديم مثل رواياته السابقة التى وظفها شوقى لتصوير حال مصر السياسى فى عصره ، تقع أحداثها فى العصر الجاهلى قبل الإسلام فى مملكة الحضر المتاخمة لبلاد فارس التى يطمع ملكها فى ضمها إلى مملكته ، فاستولى عليها بالمكر والخديعة والخيانة التى أقدمت عليها النضيرة بنت الضيزن ملك الحضر لتحقيق أطماعها فى أن تكون ملكة فارس عندما تتزوج من سابور ملك الفرس .

وقد سار شوقى فى هذه القصة مثل غيرها من قصصه على نهج بعض كتاب الرواية التاريخية فى اختراع أحداث وشخصيات جديدة ، كما قال محمد سعيد العريان - رحمه الله - « لقد اخترع أحداثا وأشخاصا لم يذكرها التاريخ ، ولكنه لم يخرج فى القصة بجملتها عما رواه المؤرخون القدماء ، فهو قد ملأ بعض الفجوات ، ولكنه لم يهدم الربى ، ولم ينكر شيئاً أثبته المؤرخون القدماء »

وهنا يقفز سؤال عن علاقة الأدب بالتاريخ وعن مدى أحقية الكاتب فى التصرف فى الأحداث أو إضافة شخصيات جديدة .

القصص التاريخى لا يقل أهمية من التاريخ عند الباحثين ، حيث يهتم القصص التاريخى بأحداث وشخصيات قد تبدو ثانوية عند المؤرخين فلا يلتفتون إليها ، لهذا يحرص كتاب القصص التاريخى على

مصداقية الأحداث والشخصيات وفق الوقائع التاريخية الحقيقية ، وقد يرى بعض الكتاب إضافة بعض الشخصيات لإحداث حركة وحيوية مع الحرص على ذكر الإضافات الجديدة حتى لا يختلط الأمر على القارئ لعدم تمييزه بين الحقيقى وغير الحقيقى .

لماذا يلجأ الكتاب إلى القصص التاريخى ؟

فى الأزمات السياسية التى تختنق فيها الكلمة ، يلجأ الكتاب إلى التاريخ خاصة التاريخ القديم البعيد عن ذاكرة السلطان وأغلب القراء حتى لا يقعوا تحت طائلة المساءلة .

وللكتاب منهجان : الأول ، منهم من يستخدم الأحداث التاريخية كما هى معتمدا على ذكاء القارئ فى الربط بين الأحداث والواقع الذى يعيشه وهذا ما فعله أحمد شوقى فى هذه الرواية والروايات الأخرى وذلك لعلاقته بذوى السلطان ، والثانى : يضيف بعض التعليقات والرموز التى تشير إلى الزمن المقصود .

ويقفز إلى الذهن سؤال آخر هل يصنع الأدب التاريخ ؟

فعلا ، يصنع الأدب التاريخ ، ولكن أى أدب يفعل ذلك ؟

الأدب الإيجابى المتمرد المؤثر فى المجتمع الذى يحدث فيه التغيير ويدفعه إلى التقدم ، وقد بين ذلك محمد سعيد العريان فى تقديمه لرواية « ورقة الآس » حين قال إن الأدب الذى يصنع التاريخ هو « الأدب الحق هو الذى ينشىء أدبا يحدث الانفعال العام ، فيكون من

أثر هذا الانفعال انتقاضات يمكن أن تصنع تاريخا جديدا ، أو لابد أن تصنع تاريخا جديداً ».

ويرى نجيب محفوظ أن العلاقة بين التاريخ والرواية بأنها « عبارة عن استعراض للحياة اليومية بكل مشاكلها ، وقضاياها وأشخاصها ، وهذا جزء من التاريخ لم يكتبه المؤرخون ، ثم إن التاريخ عبارة عن أحداث وتفسير ورؤية وأشخاص ، والرواية كذلك » .

* * *

القصة تحكى حكاية أبشع خيانة فى التاريخ حيث تخون الأميرة النضيرة آباها الضيزن ملك الحضر ، باتفاقها مع ملك الفرس سابور على تسهيل استيلائه على الحصن المنيع « عقاب » ، وإحكام سيطرتهم على بلاد الحضر ، تحقيقاً لحياة أكثر رفاهية وحكم بلاد أكبر من بلادها عندما تتزوج سابور الذى جمع بينهما الحب .

وقد ساعدت وصيفتها « أسماء » فى إشعال أحلامها ، وإمكانية تحقيقها إذا تزوجت من سابور ، ونسيت حبيبها ابن بكر الذى لا يقارن بملك الفرس ، وانتشت « النضيرة » بما سمعته من وصيفتها ، وزاد إعجابها بسابور عندما رأته فى موكبه العظيم « فظلت مطروفة العين بسابور لا تنظر إلا إليه ، وقد استرق حسنه حواسها ، وجمعها فى البصر فلم تنبس ولم تسمع ولم تبد حراكا ، إلى أن ماج الموكب للمسير ، فلم تزد على أن قالت « ما أجمله » ثم انثنت إلى القصر تتبعها وصيفتاها ومضحكها قصير » .

ويبدأ أحمد شوقى فى كشف ما يحدث فى القصور الملكية من خداع ومؤمرات ، فيقدم أول شخصية خائنة الذى ساعد النضيرة وهو «أبو سعد» فى تنفيذ خطتها .

تمرض النضيرة ، ويحار الأطباء فى علاجها ، لأن مرضها هو عشق سابور .

وتستمر الأميرة على مرضها حتى جاء رجل متنكر ادعى أنه طبيب ويسمح له بالدخول على الأميرة ومعه أبو سعد الذى تعرف على الطبيب وعرف أنه رسول سابور إلى النضيرة ، فسألته ما عنده ؟ . فأخبرها بأن ملك الفرس مشتاق لرؤيتها ، وأنه يطلب اللقاء فى أقرب فرصة للتشاور فى خطة فتح الحضر ، وسلمها خاتم سابور ليسهل لها عبور أسوار الحراسة ، وانصرف الطبيب حاملا موافقتها .

وتدبر النضيرة وأبو سعد ووصيفتها أسماء أمر خروجها ، ويتحرك ركب الخيانة ، وبعد جهد ومخاطرة تتصل إلى سابور ، تخطت هذه المخاطر بالمكر والقتل ورشوة الحراس إلا حارسا أراد شوقى أن يلقن الأميرة درسا فى الوفاء والإخلاص من خلال هذا الحارس الوفى لأبيها الضيزن ، رفض الرشوة ، وقال لها كلمات كالرصاص ، يبين من خلالها أحمد أن الشرف والأمانة لا يعرفان إنسانا بسيطا أو أميرا « لا فائدة من الإطالة أيتها الأميرة ، فخذى هذا الطريق إلى القصر فإنه أسترلك وأليق ببنات الملوك فى الليل ، ولا تقربى هذا الجسر ، فمثل بنت الضيزن عندى نازلة إليه كمثل بنت سابور صاعدة منه ، كلتاهما

في الحالتين عدو مبين ، فأما هذه القلادة فهأنذا أمزقها بيد الأمانة كما تمزق النضيرة تاج أبيها بيد الخيانة » .

ويبرز أحمد شوقي بشاعة خيانة النضيرة فيكتب كلمات يعلن للقارئ أنه لن يكمل حديثه عن هذا الموقف « فيقول » ونحن نعتذر إلى القراء من الخوض في هذا الحديث عن خيانة النضيرة التي لم تقف في الخيانة عند حد » .

وبعد اتفاق النضيرة مع سابور على الخطة لدخول الحضر تعود إلى قصرها صحبة عصبة الخيانة .

وتنفذ الخطة ، ويدخل الجنود الفرس الحصن ، وسيطروا على بلاد الحضر .

أرسل سابور رسولا إلى الضيزن يؤمن حياته والأميرة ، فرد عليه الضيزن ردا نتبين فيه الحاكم وحنان الأب الخائف على ابنته من قسوة الظروف من بعده فيقول « أبلغ الملك أيها الرسول أن حياتي لا تهمني أكثر مما تهمه في الحقيقة ، أما النضيرة فإني احتفظ بحياتها وأجعلها في ذمته وأوصيه بها خيراً ، هكذا يدبر الضيزن كأب أمر ابنته من بعده، وهي في الوقت نفسه تطعنه بخنجر الخيانة .

يختبئ الضيزن بعد ذلك في قبر الملوك الذى لا يعرفه أحد ، بعد اتفاقه مع الوصيفة المخلصة هند على ذلك وأكد عليها ألا تخبر أحدا ، وكما قال عنها أحمد شوقي بأن الأميرة لن تقف في الخيانة عند حد ، نجدها - فعلا - تحاول إغراء أزدشير الأخ الأصغر لسابور ، فلما امتنع

عنها دبرت له مكيدة للإيقاع بينه وبين أخيه ونفذتها وصيفتها « أسماء »، وتنكشف المؤامرة ، ويخبر أزدشير أخاه بخيانة النضيرة لوالدها ، ويظهر الضيزن فى هذه اللحظة ، ويؤكد كلام أزدشير ، فيغضب سابور غضبا شديدا على النضيرة ، ويرفض استعطافها ، كما رفض أبوها أيضا استعطافها وطلب العفو ويقول لها « لا عفو ما دمت فى الدنيا فإذا فارقتها عفوت » .

ويحكم سابور على النضيرة ووصيفتها « أسماء » أن تربط كل واحدة منهما فى حصان حتى الموت ، ويحرق قصير مضحك الأميرة فى النار ، أما الضيزن فعينه سابور مرشدا له ، ووهب الحضر لأخيه أزدشير ، ووافق على أن يكون ابن بكر والهاتف وزيرين لأزدشير فى الحضر جزاء إخلاصهما .

وزوج أزدشير ابن بكر هندا تنفيذا للاتفاق الذى أبرم بينهما بأن يتركاها تختار أيهما .

وبهذا ينهى أحمد شوقى فى القصة بمجازاة كل واحد حسب عمله، فإن كان خيرا فجزاؤه خير ، وإن كان شرا فجزاؤه مثله .

• الجوانب الفنية :

لم يبدأ أحمد شوقى فى هذه القصة بأبيات شعرية كما فعل فى الروايتين السابقتين « لادياس » ، « دل تيمان » بل بدأ مباشرة فى قلب الأحداث بحديث عن الأميرة النضيرة بنت الضيزن » ملك الحضر فعرف أن هناك : ١ - سابور ملك الفرس يغزو بلاد الحضر .

٢ - الأميرة «النضيرة» مدللة تعجب بسابور ، ٣ - الوصيفة أسماء تدبر مكيدة ضد الوزير ابن بكر .

أى أن شوقى أوحى إلينا بالجو العام للقصة ، بأنه جو مكائد ومؤامرات . وتعتبر هذه القصة متطورة فنيا أكثر من الروايتين السابقتين « لادياس » ، « دل تيمان » ، فقد غلب عليها الحوار .

وتخلص من السرد الوصفى وقلل من الترصيع الشعرى الذى غلب على الروايتين السابقتين ، كما تخلص من استخدام الجناس بشكل واضح وهذا أكسب القصة حيوية .

• الشخصيات :

اهتم أحمد شوقى برسم الشخصيات وإبراز صفاتهم الخُلقية والخلقية ، خاصة الشخصيات الخائنة ليستثير فى القارئ الاشمئزاز منهم خاصة النضيرة التى خانت أباها ، وأبو سعد رأس طغمة الخيانة ، الباحث عن مصلحته أينما كانت حتى ولو مع الشيطان فيقول عنه « كان يناهز الخمسين ، بين الطويل والقصير ، والسمين والضئيل ، مليح الطلقة ، حسن الزى ، لطيف الحديث ، بلغ تلك المكانة فى القصر ، وتلك المنزلة فى القرب عند الملك بالمسايرة ، والمجاراة والتأمين ، فإذا قال له الملك : هذا الصبح ليل ، قال : نعم ، وفيه بدر التم طالع ، وإذا قال له: هذا الليل صبح قال نعم : والشمس فيه بازغة .

ويمعن أحمد شوقى فى تعرية نفسية أبو سعد الخسيسة فى حديثه لنفسه وهو يفكر فى حاله بعد استيلاء سابور على الحضر «

ويحك ساطرون ، زال ملكك ، وولت دولتك ، لئن بقيت على إبائك مصرّا ما حييت على الدفاع ، فأنت مقتول ، وبك أصحابك يلحقون ولن نجد لنا عند سابور شفيعا ، فما على إذا أضعتك في إحياء نفسى ، وخفتك ووفيت لها ، وبدلت دولة بدولة ، وتعوضت عن سيد بحيز منه جنابا وأوسع نعمة » .

ويواصل أحمد شوقى فى تعرية شخصية « أبو سعد » الوصولى المضحى بكل القيم الخلقية من أجل تحقيق مطامعه ولو أدى إلى القتل فيقول للأميرة مبررا القتل لتحقيق أهوائهم « إن الدم - منذ كان - مطية الناس إلى أطماعهم المتنوعة ، وقنطرة البشر إلى أهوائهم المختلفة : هذا يسفكه فى سبيل المجد ، وهذا يريقه فى سبيل الحب، وهذا يسيله فى سبيل المال ، إلى آخر مآرب النفس ومطامعها».

ثم يحدثنا أحمد شوقى عن أخلاق ابن بكر الإنسان الملتزم فى عمله وحبه « وكان الوزير مملوء القلب من حبين ، متوزع النفس بين غرامين هوى الديار التى رقى فى خدمتها تلك المنزلة العليا وتقلب فى نعمائها وهوى النضيرة بنت ساطرون ملك الحضر » .

ويقدم أيضا أحمد شوقى شخصية أخرى بسيطة وهو أحد الحراس الذى يرفض الرشوة من « النضيرة » ليخون الملك وشرفه العسكرى ، ويقول لها كلمات كالرصاص « لا فائدة من الإطالة أيتها الأميرة ، فخذى هذا الطريق إلى القصر فإنه أستر لك وأليق ببنات الملوك فى

الليل ، ولا تقربي هذا الجسر ، فمثل بنت الضيزن عندى نازلة إليه كمثل بنت سابور صاعدة منه ، كلتاهما في الحالين عدو مبين ، فأما هذه القلادة فهأنذا أمزقها بيد الأمانة ، كما تمزق النضيرة تاج أبيها بالخيانة » ولقى الحارس حتفه جزاء أمانته وإخلاصه فى أداء واجبه .

الحـــوار :

اهتم أحمد شوقى بالحوار متخلصا من السرد الوصفى ، ووظفه توظيفا فنيا فى كسر الملل الذى يحدثه السرد أحيانا ، كما وظفه أيضا فى كشف أبعاد خفية فى الشخصيات .

وقد جاء الحوار طويلا أحيانا وقصيرا أحيانا أخرى طبقا للموقف .

• الترصيع الشعرى :

يلاحظ أن أحمد شوقى قلل من الترصيع الشعرى فى هذه القصة ، وقد جاءت متفقة مع الموقف الذى وردت فيه مثل استشهاد سابور ملك الفرس بالبيتين التاليين عندما اكتشف خيانة النضيرة لأبيها :

لا تخد عنك النساء ياملك   فكم رجال بكيدها هلكوا
للدهر فيكم مشيئة سبقت   وليس يجرى بغيرها الفلك

• الأسلوب :

تخلص أحمد شوقى فى هذه القصة من الجناس الذى طغى فى القصتين السابقتين « لا دياس » ، « دل ويتمان » وجاء الأسلوب أدبيا

سلسا ، رسم به شوقى لوحات فنية مثل وصفه للقصر « وكان القصر يشرف على المعاقل والحصون ، إشراف الحواجب على العيون ، وكانت له قباب تناغي السحاب ، تحتها أركان مشيدة ، ودعائم موصدة ، ومقاصير مربعة منضدة ، محصورة فيها الطرائف و مقصورة عليها الزخارف من محاسن النقوش وأحاسن الخطوط وبهىّ الخز والديباج ، ونقى المرمر والعاج ، وكان يطل من هذه المقاصير الفاخرة على الرياض الناضرة ، والحدائق الزاهية الزاهرة ، تتلاقى فيها الغدران والجداول ، وتجيب القمارى بها البلابل » .

إن الإبداع الروائى لأحمد شوقى يعتبر إضافة مهمة إلى إبداعه الأدبى بعامة ، وإلى الرواية المصرية بخاصة ، وهذا إن دل فإنما يدل على قدرة شوقى الفنية التى تمكنه من قول كلمته بالشكل الأدبى الذى يتفق والموضوع الذى يكتب فيه .

* * *

تظل الأساطير نبعا فياضا ينهل منه الأدباء ، وعنصرا مهما يكسب الأعمال الأدبية ثراء وعمقا ومنعة فنية وفكرية ، وملجأ يلجئون إليه فى أوقات الشدة والحصار الفكرى .

وخير مثال على ذلك روايات أحمد شوقى وهى : « عذراء الهند » وهى رواية مفقودة ولم يعثر عليها حتى الآن كما أخبرنا الدكتور محمد صبرى السربونى - رحمه الله ، والرواية الثانية « لادياس » ، والرواية الثالثة « دل وتيمان » وكان ذلك خير وسيلة أمام أمير الشعراء للتعبير عن رأية فى فساد الحكم آنذاك حتى لا ينكشف أمره ، وماذا يكون موقفه وهو ربيب القصر .

من هنا تأتى أهمية اختيار أديبنا الكبير الأستاذ حسنى سيد لبيب روايته « دموع إيزيس » الأمر الذى يجعلنا نطرح سؤالا وهو لماذا كتب حسنى سيد لبيب هذه الرواية ؟

والإجابة عن هذا السؤال تتحدد فى أمرين :

الأول : إنه يريد أن يبين أن الصراع بين الخير والشر صراع قديم قدم الخليقة منذ خلق الله آدم حتى الآن ، وتمثل ذلك فى قول إيزيس وهى تواجه « ست » بحقيقة شخصيته بأنه إنسان شرير :

- « يا ست يا قابيل عصرنا .. يا تجسيدا للشر الخبيء بنفوسنا ماذا فعلت بأخيك ؟ »

والسوآل الآن لنحدد شخصية « ست » هل هو شرير بطبعه أم أن الشر طارئ عليه بسبب حبه الجنونى لإيزيس ، هذا الحب الذى ذهب بعقله فتحول إلى إنسان شرير مستعد أن يفعل أى شئ للوصول إلى إيزيس ، فقتل أخاه ليخلو له الجو وظن ان إيزيس ستقبله زوجا ولكنها كانت وفيه لزوجها فقتل بعد ذلك زوجته نفرتارى ليتخلص منها .

جاء فى كتاب الدكتور سليم حسن : مصر القديمة « أن ست » كان فى بدايته رجلا طيبا ، على كل حال ست يعتبر شخصية شريره ، والطّيبة كانت قشرة خفيفة سرعان ما انقشعت عند أول اختبار فظهر الشر الكامن فى نفسه .

الثاتى : إن الكاتب يبث بعض العبارات ذات الدلالات الاجتماعية والسياسية ونتبين ذلك مثلا فى حديث « ست » مع الحكيم « نون » مدافعا عن جريمتيه ، لماذا تحاسبوننى وهناك فرعون قتل الملايين من أجل بناء مقابر العائلة ولم يحاسبه أحد .

الجدير بالذكر أن الكاتب لم يحدْ عن رأية فى أن الشر لا يحارب بالشر ؛ لأنه سيضيف جرائم جديدة ، ولكن يحارب بالحوار، والمعاملة الحسنة ، ليعود الحب بين الناس كما كان ليرضى عنا الله ويعم الخير البلاد . ويتضح ذلك فى نهاية الرواية .

● الجانب الفنى

ـ الخطاب السردى

عندما يعتمد العمل الإبداعى على الأحداث التاريخية أو

الأسطورية، فإنه يحتاج إلى مهارة فنية تمكن المبدع من الموازنة بين التاريخ وبين الفن حتى لا تطغى الأحداث التاريخية على العمل الإبداعي فيصبح عملا سرديا مملاً لما فيه من تقريرية ومباشرة ، من هنا نجد الأستاذ حسنى سيد لبيب واعيا لهذه المسألة ، فوازن بين أحداث الأسطورة وبين الفن وتجلى ذلك فى السرد الذى جاء بلغة أدبية تجذب المتلقى، واستخدامه الوصف مستغلاً وجود الطبيعة كعنصر مهم استفاد منه كاتبنا ، وقد حرص أيضا على أن يوازن بين السرد والوصف .

استخدم الكاتب فى خطابه السردى ضميرين :

الأول : ضمير الغائب ، وهذا يمكّن السارد من الاختفاء وراءه ليعبر عن آرائه ، كما تجعله عالما بأحوال شخصياته ، وقد اختفى السارد هنا خلف الحكيم « نون » وقدم من خلاله أفكاره .

الثانى : ضمير المتكلم واتضح ذلك فى الأحاديث النفسية للشخصيات ، ليكشف للمتلقى ما يدور فى أعماقها بصدق وأمانة .

وقد جاء الحوار بمعلومات جديدة عن الشخصيات دون إطالة ويدخل فى نسيج الرواية ، وقد استفاد فى ذلك من الأحاديث النفسية من تمرسه فى كتابة القصة القصيرة ، ونتبين ذلك عندما نقرأ حوار إيزيس مع العراف ص ٣٤ ، عندما سألها عمّا تكرهه فى زوجها فأجابت بعد تردد :

ـ ماذا أكره فى أوزوريس ؟ عفوا أيها العراف ، أنا لا أحب طيبة زوجى .

- يعنى أنك تكرهين طيبة زوجك .

- الكراهية كلمة مقيتة ، لم أكره أوزوريس قط ، ولكنى أطيّب خاطرك ذكرت مالا أحبه فى زوجى .

- وهل الطيبة تضجرك ؟

- هى سلاح فى أيدى خصومه

- ومن هم خصومه ؟

- أخوه

- أخوه خصمه

وأطرق فى أسى ، ثم قال مشفقا على إيزيس :

- ابنتى الجميلة .. كيف تصير دنيانا إذا لم تتجمل بالقلوب الكبيرة والنفوس العظيمة ؟ كيف نتصورين دنيا المشقات بدون رجال طيبين .

- الطيبة تجبر المرء على التقهقر إلى الوراء ، والاندحار أمام مكائد الأشرار .

- أوزوريس الرجل الطيب ، هو الحياة المتجددة فى زمان ردىء .

فى هذا الحوار نقف على فكر كاتبنا الذى ظل عليه طوال الرواية ولم يتخل عنه لإيمانه أن الحب هو إكسير الحياة ، ما أجمل ان يحب الناس بعضهم فيحبهم الله ! ،

ونتبين ذلك فى نهاية الرواية ، فنرى حورس لا يقتل عمه ست ،

الذى تغير وتاب عن جريمته ، وذهبت إيزيس وأختها نفتيس لزيارة قبر نفرتارى ، ويتزوج حورس الفتاة التى يحبها ، ويرفض الزواج من ابنة فرعون مصر .

فالكاتب يدعو إلى الحب الذى ضاع فى هذه الأيام بين الناس ، كما يدعو إلى محاربة الشر بالحب والحوار وليس بالقتل ، كما نرى إيزيس تذكر إبنها حورس بوصية والده « أن يعمر الحب قلوب البشر .. وبالحب يفيض النيل وتسخو السماء .. بالحب تعمر بلادنا ، وتزهو طيبة..وكل المدن والقرى » .

وتدعو إيزيس أيضا « أن يكون فى انبلاج الصباح ، بداية عهد جديد ، يغمر الكون فيه الحب والصفاء والنقاء ، وأن يكون خير مصر لأبنائها الكادحين » .

ونحن أيضا ندعو مع إيزيس أن يعم الحب ليفيض الله علينا الخير والحب والوفاء .

* * *

« دماء الأميرة ذات الهمة »

الحديث عن القضايا ، السياسية والوطنية والاجتماعية الشائكة فى الأعمال الأدبية يوقع الكاتب فى حيرة البحث عن وسيلة للتعبير عنها بأسلوب يكون سترا له من المساءلة ، فلا يجد أمامه إلا التاريخ ملجأ يستخدم ما فيه من أحداث وبطولات ومواقف تحمل دلالات رمزية تشى بالفترة التى يتحدث عنها الكاتب ، كما يوقعه أيضا فى مأزق اختيار الموضوع والشكل المناسبين ، أما بالنسبة للموضوع فعليه أن يدقق فى اختيار الموضوع المناسب الذى يضىء للمتلقى فهم الإشارات التاريخية ويساعده على الربط بينها وبين الحاضر الذى يعيشه ، أما بالنسبة للشكل فعليه أيضا أن يختار الشكل المناسب ، وهو واحد من ثلاثة أشكال هى : الحوار الخالص ، أو السرد الخالص ، أو الجمع بين السرد والحوار .

وفى رواية عماد الدين عيسى « دماء الأميرة ذات الهمة » نجده واعيا لهذه المسألة وعيا تاما ، فاختار الشكل الحوارى الخالص فى روايته « سلمى وجبل النار » ، أما فى روايته « دماء الأميرة ذات الهمة » فقد اختار الجمع بين السرد والحوار مع الحفاظ على التوازن بينهما حتى لا يطغى أحدهما على الآخر .

ناقش الكاتب فى روايته « دماء الأميرة » قضايا سياسية واجتماعية وثقافية أعطت « ذات الهمة » لها اهتماما كبيرا مع طرح

خطوات الإصلاح لهذه القضايا مجتمعة ليكون الإصلاح مفيدا وحقيقيا وليس إصلاحا تلفيقيا .

وأهداف القضيا :

١ - تحرير فلسطين واجب ديني ووطني ولن يتحقق هذا إلا بالكفاح المسلح وليس على موائد المفاوضات .

٢ - مواجهة الغزو الثقافي الذى يستهدف محو شخصيتنا وعقيدتنا ، وتشويه العقل العربى .

٣ - بناء الإنسان بناء سليما بتعميق القيم الدينية ليكون إنسانا إيجابياً يساهم في بناء الوطن .

٤ - إبراز دور المرأة العربية ومدى فاعليتها فى المجتمع ومشاركتها فى مناحى الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية .

٥ -الحرص على الوحدة العربية لأنها الحصن الحصين للعرب ، والعنصر الأساسى فى تحقيق النصر .

لقد وفق الكاتب فى اختيار سيرة « الأميرة ذات الهمة » لأنها تعبر عن الفترة التاريخية التى يريدها الكاتب تعبيرا واضحا ، فسيرة « ذات الهمة تعكس صراع العرب ضد الغزو الأجنبى الذى يستهدف كياننا وأراضينا ، كما يقول الأستاذ فاروق خورشيد فى كتابه « أضواء على السير الشعبية » إن ذات الهمة رواية تستهدف الكشف عن صراع المجتمع العربى لتثبيت انتصارته أمام الدولة الرومانية التى تتاخم حدوده ، وتحدد صورته وموقفه من الأحداث الداخلية والخارجية معا «

وهذه السيرة تعتبر وثيقة مهمة تثبت حق المرأة العربية فى مكان المساواة من المجتمع ، وهذا ما أبرزه الكاتب عماد الدين عيسى فى هذه السيرة ، كما بين أيضا أن الحق العربى لن يعود إلا بيد عربية ، وبالدماء العربية التى تجرى فى عروق « ذات الهمة »

وتضرب الأميرة ذات الهمة كقائدة المثل الأعلى فى إنكار الذات حتى المشاعر العاطفية ، فقد أخفت مشاعر حبها للبطل أبى محمد الذى أخفى مشاعره تجاهها أيضا .

والجدير بالذكر أن الكاتب عماد الدين عيسى لم يستغل هذه العلاقة للتوسع فيها لدغدغة مشاعر القراء ، ولكنه اكتفى بالتلميح بإشارات سريعة ، وهذا ما حرصت عليه السيرة وحرص عليه عماد الدين عيسى لإبراز « خلقيات المرأة العربية التى تحافظ على عرضها وتدافع عنه حتى الموت والتى تعرف الوفاء لمن تحب وتؤكد ارتباطها به ارتباطا لايفصمه شىء » (أضواء على السير الشعبية : فاروق خورشيد .

إن « الأميرة ذات الهمة » تجسد ما تتصف به المرأة العربية من عفة ووفاء وتضحية ، وحبها للحق والعدل ، ويتضح ذلك فى حديث ذات الهمة مع ابنها عبد الوهاب الذى تنصحه فيه بألا يرفع السيف إلا من أجل الحق والعدالة ، كما فى الحوار التالى :

-نحن كالأسارى يا ولدى ، مغلولى الحركة على أرضنا السليبة .

- إذن فالرفض أجدى ياأماه .

- بل نتصدى للطغيان .

- نعم لابد من إيقاف المهزلة والتصدى للمأساة ..

- ومواجهة الكارثة .

- قلت لقد آن الآوان يا ولدى .

- أفعل ولو بحد السيف .

- ليكن يا عبد الوهاب سيف العدالة .

* لقد اختلفت أساليب الاستفادة من السير الشعبية ومن التاريخ فى الأعمال الأدبية شعرا وقصة ، فهناك من استخدم الرموز والإشارات ذات الدلالات التاريخية ، وهناك من استخدم السيرة الشعبية بنفسها مع مراعاة أن تكون الفترة المختارة تحمل ، كما يقول الدكتور جابر قميحة فى كتابه « التراث الإنسانى فى شعر أمل دنقل » ، - «فترات الحرج والصراع والدرامية أو بتعبير آخر- فترات تتسع رقعتها للجدلية التى تحكم علاقته بالتراث » .

والاستفادة من التراث لا تحد من حرية الأديب فى الاختيار والتكييف الثقافى لآن التعامل مع الماضى - كما يقول الدكتور جابر عصفور -« ينطلق من مجموعة المشكلات التى يعيشها الشاعر فى الواقع ، أو بتعبير آخر إنه بالشكل الذى يرى به الحاضر يبحث فى الماضى مما يتناسب مع كيفية رؤيته وتعامله مع هذا الحاضر » وهذا

ما فعله أمير الشعراء أحمد شوقى فى روايتيه : « دل وتيمان » و « لا دياس » وأدباء آخرون ، وهذا ما فعله عماد الدين عيسى ، فقد أحسن اختيار سيرة « الأميرة ذات الهمة » رمزا للحاضر الذى يريد تصويره .

•• الجوانب الفنية

١ - الضمائر

ضمير المتكلم وضمير الغائب من الضمائر المستخدمة بشكل أكثر من ضمير المخاطب الذى يقل استخدامه فى الأعمال الإبداعية ، ويطلق عليه النقاد « ضمير الشخص الثانى » ، وقد استخدم قديما فى «ألف ليلة وليلة » ، كما يعتبر الروائى الفرنسى « ميشال بيطور » أول من استخدمه فى روايته « العدول » أو « التحويل » كما ذكر الدكتور عبد الملك مرتاض فى كتابه « فى نظرية الرواية » .

وقد استخدمه الأديب عماد الدين عيسى فى روايته « دماء الأميرة ذات الهمة » بشكل ملحوظ كوسيلة من وسائل الكشف عما تخفيه الشخصيات فى أعماقها فى لحظات الانفراد بالنفس وهذه اللحظات - لحظات المفاجأة - تعتبر خطابا مضمنا داخل خطاب آخر يتسم بالسردية : « الأول جوانى، والثانى برانى ولكنهما يندمجان معا اندماجا تاما لإضافة بعد حدثى أو سردى أو نفسى إلى الخطاب الروائى » .

وقد اتضح ذلك فى حديث « ذات الهمة » مع نفسها ، وكذلك فى الحديث الذى وجهته خادمتها « سعدة » إليها .

كما استخدم الكاتب أيضا أسلوب الالتفات ، وهو نقل الكلام من المتكلم أو المخاطب أو الغائب إلى ضمير آخر لتنبيه المتلقى وجعله يقظا لمتابعة أحداث القصة .

• • الشكل الفنى والشخصيات

إن استخدام التاريخ كمرجعية يعطى للإبداع بعدا عميقا وثراء خصبا يفتح وعى المتلقى على تاريخه ويجعله يتفاعل معه ، ومن هنا تتحد قوة الأجيال المتعاقبة ، ونتبيّن مدى وعيه لتاريخه الرسمى والشعبى ومدى الاستفادة منه ، ويتمثل ذلك فى عبد الوهاب ابن ذات الهمة الذى أخذ منها ومن والده مثالا للنضال المقدس الذى لا يعرف إلا الثبات حتى النصر أو الشهادة .

فتوظيف الشخصيات التاريخية فى الرواية يعطى للمعبِّر عنه بعدا يساعد على الإحاطة به لأنها « شخصيات مرجعية ، تحيل إلى معنى تام تتضمنه ثقافة ما يؤدى هذا التوظيف مهمته ويحقق الغرض منه حسب مشاركة قارئى الرواية فى هذه الثقافة ، هذه المشاركة هى المسئولة عن وضوحها فى النص وأدائها للمعنى المقصود » (تحليل الخطاب الأدبى : إبرهيم صحراوى) .

وقد تمثل ذلك فى اختيار الكاتب عماد الدين عيسى للفترة التاريخية وشخصياتها الحقيقية مع إضافة بعض الشخصيات مثل «الساحرة « دهرشوما » وزوجها الشريرين ومحاولتهما القضاء عليها ..

* قسم الكاتب الرواية إلى فصول ، ووضع لكل فصل عنوانا يشير إلى مضمونه ، وقسم كل فصل إلى مشاهد ، ويضيف كل مشهد موقفا جديدا يساهم فى بناء الرواية ويعتبر المشهد الأول من الفصل الأول نقطة الانطلاق أو نقطة السكون ، أو نقطة الصفر ، وقد جمع فيه الأزمنة الثلاثة : الماضى والحاضر والمستقبل المتمثل فى الأمل فى النصر ، كما احتوى المشهد على مؤشرات انبنت عليها أحداث الرواية ، كما ربط فيه بين فاطمة وذات الهمة ليوصل بين الماضى والحاضر .

•• السـرد :

تعددت مستويات السرد فى ثلاثة مستويات :

الأول : الراوى / المؤلف

الثانى : حوار الشخصيات مع بعضها

الثالث : حديث النفس (المناجاة)

كما استخدم الكاتب وسيلة أخرى هى المذياع والتلفاز لكشف سياسة الآخر / الغرب / وإسرائيل ، ومنها :

١ - « نقلا عن الـ سى . إن . إن .. الدعوة لاجتذاب دول جديدة فى علاقات تحقق العولمة .

٢ - النظام العالمى الجديد واقع .. والباب الواسع لدخول المستقبل

٣ - القوة الأعظم تحدد المسار للدول لتصبح فى منظومة الهيمنة .. وأخرى رافضة تواجه العزلة .

لقد جسد الكاتب فكر ذات الهمة المستمد من عقيدتها المؤمنة، فهى ترى أن يكون السيف فى خدمة العدالة ، وأن يواصل الجميع مسيرة البناء والعطاء ، لتحقيق الرفاهية للشعب .

ويختم الكاتب روايته كما بدأها بالاستماع إلى المذياع والتلفاز ، فنجد الآم فاطمة تطلب من ابنها عبد الوهاب فتح التلفاز لمشاهدة نشرة الأخبار ، وبعد انتهاء النشرة نرى على شاشة التلفاز بقعة دم تغطى الرمال ، وهى فى اعتقادى ترمز إلى أن الكفاح لم ينته ، ولكنه مستمر ضد أعداء الوطن والإسلام .

* * *

« احترس من الدولار »

تعرية للضعف الإنسانى أمام المغريات

رواية « احترس من الدولار » للأديب محمد نور الدين تعالج قضية العاملين فى الخارج وترصد التغيرات الاجتماعية والنفسية التى تطرأ عليهم وانعكاس ذلك على سلوكياتهم مع الآخرين .

بدءا يدخلنا الكاتب من العنوان « احترس من الدولار» ومن الفقرة الأولى فى الرواية فى أحداثها مباشرة ، ورغم أن العنوان يكشف للمتلقى عن القضية التى تعالجها الرواية ، ولكن الكاتب استطاع أن يجذب المتلقى للدخول معه فى الرواية لمتابعة الأحداث ونهايتها ، والكاتب بذلك ينهج نهج القصص القرآنى الذى يضع المتلقى أمام الحدث مباشرة كما فى قصة يوسف عندما أخبر والده أنه رأى الشمس والقمر له ساجدين كما أخبرنا النص القرآنى فى قول يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ، قال يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين» سورة يوسف ٥,٤)

الرواية تصور التناقض الذى يولد الصراع ، على محاور مختلفة :

- الإنسان ــــــ نفسه
- الإنسان ــــــ المجتمع

صراعه أيضا بين :

- القناعة ــــــ الطمع

من الفقرة الأولى فى الرواية يستخدم السائق كعنصر إثارة للقارئ وجذب له : « بالرغم من أن-هذا السائق القاهرى ليس مجرما ، ولم يفكر من قبل فى ارتكاب أية جريمة ، إلا أنه كان مضطرا فى هذه الليلة إلى التفكير فى ارتكاب جريمة قتل الراكب الذى أتى به من المطار (ص ٥) .

بهذه الفقرة يربط الكاتب بينها وبين العنوان « احترس من الدولار » كدلالة تحذيرية ، ويكشف جانبا من جوانب تأثيرالدولار على أول إنسان التقاه عبد الغنى العائد من الخارج .. بدأت الأفكار الشيطانية تلعب بالسائق ، وتفتح أمامه أبواب تحقيق حلمه القديم فى امتلاك سيارة ، فالكاتب يقدم الدافع القوى لارتكاب السائق جريمة القتل ، وإمعانا فى تأكيد هذه النية عند السائق ولجذب المتلقى يكشف عن خطة السائق الشريرة « ماذا لو أوقفت التاكسى بجانب هذا النهر الواسع العميق الذى يحف بالطريق وأستولى على كل ما عاد به من هدايا ودولارات من بلاد البترول : إنها ضربة العمر يمكننى بعدها شراء التاكسى الذى أحلم به » (ص ٥) .

تحريك لغريزة حب الاستطلاع عند المتلقى ليصاحب الكاتب فى رحلته ليرى ماذا سيفعل السائق ، ماذا سيحدث له لو نفذ خطته ؟ هل سيتغلب عنصر الخير على الشر ويتراجع عن جريمته ؟ ولا ننسى

أن نشير إلى وصف الكاتب للسائق (بالقاهرى) ولهذا دلالة بين الفرق الخلقى والنفسى بين إنسان المدينة ، وإنسان القرية .

الفقرتان السابقتان توحيان بوجود صراع خفى فيه ترقُّب وحذر بين السائق والراكب . عبد الغنى آثر الصمت والانزواء فى ركن السيارة مختليا بذكرياته مما وتر السائق وجعله نهبا لفكره الشرير ، ومما زاد من توتره أيضا وحشة الطريق ليلا « فليل هذا الطريق الزراعى الملاصق للنهر حتى فى انحناءاته والتواءاته كثعبان ، هو ليل مظلم فحمى مدخن ، وعار من أية مصابيح كهربائية .. بينما جذوع الأشجار العجوز الضخمة ترفع فوقها أغصانا ثقيلة كثيفة ، مدت أعناقها وسواعدها من فوق الطريق لتلتقى مع أغصان أشجار الجانب المقابل من الطريق ، وشكلا معا قبوا مرتفعا تنكسر عليه أشعة مصابيح سيارته الأمامية .. وإذا تصادف وسقطت الأشعة فوق مياه النهر عند إحدى المنحنيات اليسارية ، فإنه يرى فى الماء لمعانا سريعا ومرعبا ، يشبه عيون الشياطين الغرقى ، فيقتلع عينيه مبتعدا عنها ، ويثب بهما إلى المرآة الأمامية ، يتابع خلفه ويرشق الراكب بغيظ واحتجاج ، لهذا الصمت الذى وتر نفسه به منذ بداية الرحلة » (ص ٦) .

ولأن السائق ليس مجرما بطبعه يحاول الكاتب من حين لآخر توضيح ذلك ، فى تردده ومحاولته كسر الصمت الذى يتيح للأفكار الشريرة أن تنطلق من عقالها ، فهو الذى يحاول فتح الحديث مع الراكب لتبدد الأفكار السوداء ، وكان من المفروض أن تأتى المبادرة

من الراكب لاستكشاف نية السائق تجاهه فنرى السائق يسأل الراكب لحثه على الكلام :

« ألم نقترب من البلدة يا أستاذ ؟ لم يجبه الراكب ، كأنه لم يستمع إلى سؤاله .. فأعاد السؤال بنبرة أكثر حدة وضيقا : ألم نقترب بعد من البلد يا أفندى » (ص ٧) . انشغل عبد الغنى أبو ثروة عن السائق بذكرياته الماضية فى اليمن وأيامه القادمة السعيدة . مع زوجته وابنته ، ولكن عبد الغنى سرعان ما نبت الشك فى نفسه عندما سأله السائق «ألم تخبر أحدا بموعد وصولك يا أستاذ » (ص ٢) ، فيجيبه عبد الغنى بسؤال فيه الشك « ولماذا هذا السؤال ؟ » .

وبعد أن يستثير الكاتب فى المتلقى وعبد الغنى الشك تجاه نية السائق ، نراه يمحو هذه النية السيئة ، يبين الكاتب أن الشر الذى استيقظ فى السائق ليس متأصلا فيه ، ولكنه ينطلق فى لحظات الضعف الإنسانى أمام المغربات القوية ، فنرى الكاتب يكشف عن طيبة السائق فى الفقرة التالية :

« ولم يكن ارتياح السائق ـ الذى رطب قلبه ـ بسبب قرب نهاية الرحلة ، ولكن بسبب انتعاش الراكب ، ويقظته وتخلصه من حالة اللانطق هذه ، ولذا قرر أن يمسك بطرف الخيط ، ولا يتركه أبدا إلا مع نهاية الرحلة ، حتى يبدد تلك الأفكار الشيطانية التى ضببت خياله أول مرة » (ص ٢٨) .

وتنتهي المرحلة الأولى من رحلة عبد الغني أبو ثروة من المطار إلى منزله وقد أصبح هو والسائق صديقين ، وبعد ذلك تبدأ المرحلة الثانية من رحلة عبد الغني مع زوجته وصديقه الغتت ، وصدمته في زوجته التي خانته وتزوجت صديقه الغتت ، وصارت شخصية أخرى تماما بسبب جشعها وذاتيتها فأصبحت تاجرة عملة ، والصدمة الفظيعة لعبد الغني كانت عندما أنكرته ابنته ، ويخرج عبد الغني صفرا من كل شئ ، ماديا ونفسيا واجتماعيا ، وليس هو فقط بل كل الشخصيات التي حوله رغم نجاحها ماديا ولكنها خسرت نفسها ، إلا أم عبد الغني الرمز الحقيقي لكل القيم الجميلة ، والحارسة لعبد الغني منذ الصغر لتبعد عنه الشر ولكن الشر كان أقوى فأخذة منها حتى ضاع في دنيا الله أخيرا .

هناك ملاحظتان تجب الإشارة إليهما :

١ - بداية الرواية تجعلنا نلتفت إلى بدايات أعمال محمد نور الدين ، ففي رواية « هذا ما حدث للأستاذ » يدخل الكاتب مباشرة في صميم الأحداث ، فيقول « صرخ الحاج سعد في وجه الحاضرين وكأنه سبهم ينتقم لنفسه من جرح قديم ، على الطلاق بالثلاث .. على الطلاق بالثلاث مرة ثانية انك لن تشم ثوب ابنتي سعدية مرة ثانية .. ولن تدخل بيتك .. مادمت حيا .. ومرة ثانية .. لو كنت رجلا .. يا فرج أفندي .. أرني ماذا ستفعل » (ص ٧) . وفي روايته المخطوطة « رسالة الى المهاجرة الحسناء » نجد البداية نفسها وهذه البداية التي

يدخل بها الكاتب فى قلب الأحداث مباشرة ليست فى الروايات فقط ولكن فى القصص القصيرة أيضا .

٢ ـ قضية الاغتراب سواء الداخلى ، أو الخارجى تشغل الكاتب محمد نور الدين ولذا نجدها محورا فى أعمال قصصية أخرى غير تلك الرواية ، ففى رواية « هذا ما حدث للأستاذ » نجد سعد الأقرع الفلاح الأجير صار من الأغنياء بعد سفر ابنته إلى الخارج ، وفى رواية رسالة إلى المهاجرة الحسناء « تصور المهاجرين من مدن القناة فى حرب ١٩٦٧ وأثرهم فى أخلاقيات القرويين ، أما القصص القصيرة التى عالجت هذه القضية فهى: « عفريت نفق الشندغة ، ضائعة فى سوق الرولة ، حتى لا يطول الانتظار ، فوانيس الأصفاد » .

٣ ـ الإنسان ابن بيئته ابتداء من الأسرة ومرورا بالمدرسة وانتهاء بالمجتمع ، فكل منها له مؤثراته التى قد تغير من سلوك الإنسان ، وتغير شخصيته ، لذلك نرى الكاتب بّين بنية كل شخصية من شخيات الرواية خاصة الرئيسية مثل عبد الغنى أبو ثروة ، وجميلة زوجته ، والصديق الغتت .

الشخصيات :

١ ـ عبد الغنى أبو ثروة فى النص التالى نستخلص سمات شخصيته .. فقد الأب .. الإحساس بالذل والمهانة .. مشاعر الخوف من الآخرين .. كانت أكف العفاريت واللصوص تدق نوافذ المساء كل ليلة .. حضن أمه التى كانت تلاحقه لم يكن كافيا لحمايته .. كان

يدفس عينيه .. أنفه .. كل رأسه فى صدرها .. بين نهديها الفخيمين .. كان فى الثامنة من عمره .. لم يكن يشعر بالأمان .. كان يشعر بلذة غير مسماه .. كان يشعر بارتياح عندما ينكمش فى صدرها كلما استرق السمع لأصوات مبهمة فى الليل .. فتضمه أكثر إلى أعماقها .. تعتصره بحنان مطمئنة له .. بأن هذه الأصوات التى تتحرك ليست إلا أصوات الكلاب تلاعب بعضها فى ضوء القمر .. لكنه يلتصق بها أكثر مختبئا كل وجهه بين نهديها هامسا فى فزع .. لا يا أمى .. إنها العفاريت .. كانت تضحك بدفء مطمئن .. وتهمس مؤكدة فى صدق .. يا حبيبى لا توجد عفاريت ما عفريت إلا بنى آدم .. اقرأ الفاتحة » (ص ١٣) .

فعبد الغنى أبو ثروة يتسم بالتالى :

- إحساس اليتم بعد فقد والده .
- عدم الإحساس بالأمن.
- الالتصاق بأمه كحصن أمان وحب ودفء .
- إحساس بالذل .
- رغبته فى أن يكون إنسانا مهما مرموقا فى القرية .
- حب المال ولهذا سافر إلى اليمن ولهذا أسماه الكاتب « أبو ثروة » .

وارتباطه بأمه ولجوؤه إلى صدرها إحساس بالرجوع الى مرحلة الطفولة حيث الأمان والحب والدفء وما أسماه فرويد بالمرحلة الفمية

وهى كما تقول الدكتورة فوزية الدريع « أول مرحلة نمو نفسى وهى تمتد من ميلاد الطفل الى بلوغه ١٨ شهرا حيث يكون الفم هو مركز اللذة » (كتاب القبلة ص ٦٣) .

ووفق نظرية فرويد التى يرى أن « كلنا مولودون بنزعة جنسية تحتاج الى إشباع وأننا فى حالة عدم إمكانية الاشباع الجنسى المألوف نبحث عن بديل ولانه يرى أن ثدى الأم هو أول شئ جنسى فى حياة الإنسان .. فإن صدر الأم يبقى محورا تركيزيا على عقل الطفل الذكر بشكل خاص وأساسا لنزعة الشيئية » (كتاب القبلة ص ٦٥) .

ونزار قبانى - رحمه الله - فى حديثه المستمر عن النهود يدل على ارتباطه بالمرحلة الفمية وقد بين ذلك الدكتور كمال نشأت فى مجلة المنتدى العدد ١٧٨ يونيو ١٩٩٨ فقال « وارتباط النهد بلذة المص والرضاعة عودة الى مرحلة طفولية يسميها فرويد المرحلة الفمية وهى مرتبطة بحياة الطفل لأنها تمده بالغذاء اللازم لحياته ، وهى فى الوقت نفسه أول منطقة يتركز فيها الإحساس باللذة » .

عبد النبى أبو ثروة فى رحلة حياته لم ينس شيئين : اليتم ، وأمه ، يتذكرهما ويتفجر لديه الإحساس بهما عندما يتعرض لموقف من المواقف المؤثرة والمحركة لهما . فشخصية عبد الغنى شخصية غير كاملة ، يتم ، فقر ، حرمان عاطفى عندما ترتبط بزوجة تتوفر فيها صفات الأم فهل كانت « جميلة » الزوجة التى يتمناها عبد الغنى .

شخصية الزوجة « جميلة » :

تتحدد سمات شخصية الزوجة « جميلة » فى التالى :

١ - طموحة : ونتبين هذا الطموح فى أحلام مستقبلها : الأول فى إتمام دراستها حتى المرحلة الجامعية ، والثانى : ظهر جليا عندما فشلت فى تحقيق الأول تنفيذا لأوامر الأب وهو أن تصبح غنية وتفجر هذا الطموح عندما تزوجت عبد الغنى أبو ثروة المدرس .

٢ - متمردة : وتبين هذا فى ثورتها على سلطة الأب الذى يحاصرها بالأوامر فترفض مثلا لبس الحجاب إعلانا لتمردها على سلطة أبيها الطاغية . فى الفقرة التالية يبين الكاتب تأثير البيئة فى تكوين الشخصية : « وهكذا كان فى بيت جميلة فريق كامل متكامل يتكون بتفاهم ليس له مثيل من أبيها وأمها لممارسة أى نوع من أنواع الضغوط والإحباط .. والقدرة الهائلة على التيئيس وتحطيم الآمال الكبار وقتل الهمم . لذا تخلت جميلة عن فكرة مواصلة الدراسة ، ولم يعد لها من وسيلة فى يدها لتحقيق أحلامها فى زوج المستقبل الذى رسمته وحفرته بكل دقة وتأن فى خيالها غير الوقوف أمام المرآة والاهتمام بشكلها وجمالها » (ص١٠٩) .

فالزوج هو وسيلة « جميلة » لتحقيق حلمها الثانى وهو الثراء ولذا وافقت فورا على عبد الغنى عندما تقدم لخطبتها .

ومن سلوك الشخصيتين نجد أن كلا منهما وجد فى الآخر ضالته المنشودة علاوة على أن جميلة وجدت فى ضعف عبد الغنى أمامها فرصة للسيطرة عليه .

شخصية أم عبد الغنى :

أم مثل كل الأمهات الريفيات القادرات على مواجهة أعباء الحياة بمفردها ، فاليمن أخذت زوجها شهيدا ، ثم أخذت ابنها عبد الغنى عندما سافر للعمل بها ، تحدت الظروف بمفردها ، فرفضت الزواج تماما لتتفرغ لتربية ابنها « كانت تشعر فى أعماقها بالفخر والغرور لأنها أنجبت هذا الرجل ، كانت تتأكد كل يوم يمر بها أنها كانت على صواب عندما رفضت الزواج ، ولم تستجب للمغريات من الرجال والنسوة اللاتى كن يخفنها من المستقبل فى هذه الحياة الشاقة بدون رجل » (ص٤٩) .

جسد الكاتب فى شخصية الأم شخصية مصر الصامدة رغم ما يمر بها من محن وأخطار ، وخوفها على أبنائها ، ظلت الأم بالنسبة لعبد الغنى نبع الحنان الذى لا يستغنى عنه أبدا حتى بعد زواجه ، وظل عبد الغنى الحلم الجميل بالنسبة لأمه حتى وهو يشق حياته بعيدا عنها .

الأم شخصية قوية حنونة تسبغ على ابنها الحب والرعاية والنصيحة واستسلامها لمطالبه ليس عن ضعف ، ولكن حبا لابنها وحرصا عليه .

هذه هى الشخصيات المحورية التى تدور حولها الأحداث ، ويتأسس عليها الصراع :

الأم ⟵ الزوجة

الزوجة ⟵ الزوج

الأم ⟵ الابن

الصراع الأول : تنازع على السلطة والسيطرة بين الأم والزوجة على عبد الغنى .

الصراع الثانى : تنازع لا شعورى بين الأم والابن ، فالابن يريد الخروج من دائرة الأم ، والأم تحاول المحافظة عليه حتى لا يقع فريسة للزوجة الطماعة .

أما باقى الشخصيات فهى ثانوية تدور فى فلك الشخصيات الرئيسية .

عندما ننظر إلى نهاية هذه الشخصيات رغم صراعها سواء كان مشروعا أو غير مشروع لتحقيق أحلامها نجدها ـ ما عدا الأم ـ قد فشلت فى تحقيق أحلامها ، وهنا يقفز سؤال لعل الكاتب يريد أن يطرحه خلال روايته : ما سبب هذا الإخفاق ؟

هل يرجع إلى التناقض بين الأحلام والقدرات ؟ هل يرجع إلى سوء استخدام الوسائل ؟ هل يرجع إلى خلل نفسى فى هذه الشخصيات ؟ . لقد استطاع الكاتب بتحليله الاجتماعى والنفسى للشخصيات أن يجيب عن هذه الأسئلة وهو بذلك ينبش فى دماغ المتلقى ليفجر داخله الحوار ليبحث عن الأسباب ليصحح مساره .

وهناك بعض الملاحظات :

١ ـ استخدم الكاتب الأسلوب السردى محافظا بوعى على الحبكة الفنية . مستخدما تنوع الضمائر ، والفلاش باك ، والحوار لإحداث التنوع وجذب القارئ ، إلا أنه يوجد ثغرة فى السرد الطويل الذى أشعرنا بالاسترخاء .

٢ ـ شخصية الشرطى الذى خاض تجربة عبد الغنى من أجل الثراء ولكن بصورة أخرى يبدو أنها مقحمة ، وإن كان عند الكاتب ما يبرر وجود هذه الشخصية كمعادل لشخصية عبد الغنى .

٣ ـ أنهى الكاتب روايته بشكل سينمائى مباشر عن هدف الرواية ومن الممكن الاستغناء عن هذه النهاية مكتفيا بالوقوف عند ضياع الشاعرية .

٥ ـ أحسن الكاتب استخدام الطبيعة والأماكن فى الرواية موظفا لها حسب الحاجة إليها .

رواية « احترس من الدولار » وثيقة لحياة العاملين فى الخارج قدمها الكاتب محمد نور الدين بصورة حادة ليحدث الصدمة التى تجعل الإنسان يفيق من غفوته .

* * *

رواية أرض النفاق

يعتبر أدب يوسف السباعى صورة صادقة للمجتمع ؛ لأنه انعكاس حقيقى له وهذا نتيجة احتكاكه المباشر ، وينفرد السباعى بطريقة المعالجة ، فهو ينطلق بموضوعه من المحلية إلى النطاق العالمى لأنه يخاطب المشاعر الإنسانية وهذا النوع من الأعمال الفنية لا يرتبط بعصر معين .. لقد عالج السباعى فى أعماقه الحب .. الأخلاق .. الحرية .. الموت وهذا كله يهم الإنسان فى مصر وفى أى مكان على هذه الأرض لقد اختار نماذجه من الحياة المصرية ، تشيع فيها الروح المصرية والنكته المصرية وهذا ما جعل القارئ الغربى عندما ترجمت أعماله إلى لغته ينجذب إليها ، لأنه يريد أن يعرف عن مصر كل شيء .. حضارتها .. وفكرها .. وتطورها .. ولقد استطاع يوسف السباعى أن يحقق هذه العالمية لاهتمامه كما قلت بالإنسان عامة .. ويتمثل هذا فى أعماله فمثلا فى « رُدَ قلبى » يسجل أحداث ثورة ١٩٥٢ باعتبارها طفرة مهمة فى تاريخنا المعاصر ويبدو لى أن سبب اهتمامى بهذه القصة هو يقينى بضرورة تسجيل الأحداث الخطيرة التى حدثت فى تاريخنا المعاصر . وثقتى بأنى بصفتى العسكرية .. أقدر الكتاب على تسجيلها بحكم خدمتى فى الجيش وإحساسى بالمشاعر التى أدت إلى حدوث هذه الأحداث التى غيرت وجه التاريخ فى مصر » ، وفى « السقا مات » يقدم فيها صورة حقيقة للحياة المصرية .. الأحياء الشعبية

بعادات أهلها وتقاليدهم فى المناسبات والأعياد بجانب معالجته فكرة الموت وكيفية تحديه من أجل الحياة .

وفى « نحن لا نزرع الشوك » تدور حول البحث عن الذات ومجموعاته القصصية « بين أبو الريش وجنينة ناميش » و « أرض النفاق » و « يا أمة ضحكت » و « الشيخ زعرب وآخرون » كلها تقدم صورة صادقة للحياة المصرية من خلال لوحات فنية .. لقد قدم يوسف السباعى من أعماله فى شكل بسيط بعيدا عن الغموض والتعقيد ولكنها ثرية فى مضمونها وفى فكرها . وهذا ما حقق العالمية لتشيكوف فى أعماله الإنسانية فنحن لا ننسى قصته القصيرة « موت موظف » ولمن أحكى كآبتى ولا ننسى « الأم » لمكسيم جوركى و « نهر الدون الهادى » لشولوخوف و « العجوز والبحر » لهمنجواى وأعمال شكسبير المسرحية و « كوخ » العم توم » للكاتبة هآتيت بيتشر ستو ، لأنها أعمال لا تصور الواقع المحلى فقط ولكنها تنطلق إلى آفاق إنسانية أرحب تشمل الإنسان فى كل مكان يجد نفسه فيها فيتعاطف معها ويشارك أبطالها مشاعرهم .. وفى أعمال السباعى أيضا يجد الإنسان فى كل مكان نفسه .. همومه .. وأخلاقه ..

ورواية أرض النفاق التى نتحدث عنها هنا تضع الإنسان فى أى مكان فى مواجهة صريحة مع نفسه ليكسر حاجز الخوف ، لينزع ستر النفاق ويتقدم لتغيير واقعه المر « يا أهل النفاق !! تلك هى أرضكم .. وذلك هو غرسكم ، ما فعلت سوى أن طفت بها وعرضت على سبيل

العينة بعض ما بها .. فان رأيتموه قبيحا مشوها فلا تلوموني بل لوموا أنفسكم .. لوموا الأصل ولا تلوموا المرآة » .

إن السباعي يريد أن يشير في الإنسان إرادة الفعل الذي يميزه عن الحيوان .. إرادة الفعل ليغير واقعه لأنه إذا لم يتحرك هو لتغيير واقعة المؤلم فلن يحدث التغيير « لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» هذا هو الدستور القرآني .. أليس الله بقادر على تغيير أحوال الناس وتخليصهم من الظلم والفساد ولكن الله يريد للإنسان أن يكون إيجابيا ، يمتلك الإرادة لتغيير واقعه إلى الأفضل .. فالسباعي يتمثل هذا جيدا ، ويؤمن أن أي تغيير لا يمكن أن يحدث من الخارج إلا إذا انبعث من داخل الإنسان أولا .. يؤمن أنه عندما ينصلح الفرد في ختام أرض النفاق يقول السباعي إنه لم يفعل سوى أن طاف بأرضنا وعرض على سبيل العينة بعض ما بها ، وهذا عمل الفنان الأصيل الذي يمتلك الحاسة الفنية المرهفة الذي يلتقط الأحداث التي يمر عليها الإنسان العادي فلا يشعر بها .. ولكن الفنان بتميزه عن الإنسان العادي بحاسته الفنية تلفت نظره وتثير في نفسه أشياء تدفعه إلى الكتابة عنها وإبرازها ليلفت إليها الناس الغافلين ، وبذلك يتحقق ما يريده الفنان من فنه و «أرض النفاق » ستظل ماثلة أمامنا لا ننساها ، لأن الأرض لن تخلو من النفاق ولن يوجد على الأرض شعب لا يعاني من فساد الحكام ولذلك فنحن في حاجة دائما إلى تمثلها . في هذه الرواية استطاع يوسف السباعي من خلال الصور والمواقف المتتابعة التي وقع

فيها بطل الرواية أن يستخدم أسلوب الصدمة الكهربائية بأن يكشف الصورة التى نعيشها بما فيها من قبح بصراحة ووضوح وهذا لا يتبع الا مع شعب لابد ان يكون أحد اثنين « أما شعب يكره نفسه لأنه - رغم ما يشيعون عنه أنه مصدر السلطات - يأبى أن يصلح حاله .. ويعالج مصابه .. ويزيل عن نفسه ذلك القيد الثقيل من الفقر والجهل والمرض . وإما أنه شعب زاهد ، قد تعود ذلك البؤس الذى يرتع فيه ، والحرمان الذى يأخذ بخناقة » .

تشخيص صادق وصريح لحال الشعب يصدر عن صدق يوسف السباعى ويكشف عن معايشته التامة للمجتمع وتفهمه النابع عن وعى بتاريخ أمته وما يمر بها من أحداث .. لقد أثار يوسف السباعى فى «أرض النفاق » عدة قضايا منها : فساد الحكم ، العدالة الاجتماعية ،، رسالة رجل الفكر .. قضية فلسطين .. لقد تجول بطل الرواية فى نواح مختلفة من حياة المجتمع ليقدم صورا قبيحة مقززة ليستثير فى الإنسان إرادة التغيير للتخلص من الظلم الذى يجثم عليهم .. إنه يندد بالحكام الذين يهملون الشعب ولا يهتمون إلا بأنفسهم وتحقيق الثراء على حساب الشعب المسكين « إن شر ما فى المصاب .. إن الذى لا يحس .. يستطيع أن يفعل ، ولكنه لا يفعل لأنه قرير هانئ ، أما الذى يحس فهو لا يفعل شيئا لأنه أعجز من أن يفعل » .

السباعى فى هذه الكلمات يضع يده على أصل المشكلة .. أن الشعب الذى يريد التغيير لا يملك أن يمنع عن نفسه البلاء والذين يملكون منع البلاء لا يحسون به لأنهم يعيشون فى عالم بعيد عن آلام

الشعب « وتلك هي العلة في هذا البلد ، إن الذى يحس بالمصاب لا يملك متعه .. والذى يملك منعه .. لا يكاد يحس وجوده » .

وكيف يشعر الحكام ومنهم إبراهيم العقب نابغة الميضة الذى كان يتاجر في أعقاب السجائر ثم يكافح بطريقته حتى وصل إلى أن يصبح نائبا .. إن أمثال إبراهيم العقب الموجودين في كل عصر ويملكون قدرة التسلل في أى موقع .. إن قصة إبراهيم العقب زعيم لمامي السبارس قصة لا تنتهى أبدا .. والتاريخ يعيد نفسه .. « ما بالك بالأسياد الذين يتولون أمورنا ويتبادلون علينا ، الواحد بعد الآخر ، فلا يفعل كل منهم سوى سلام أسياده » فلابد لكل منهم اسياد يؤدى لهم التحية ويأتمر بأمرهم ويتلقى منهم الوحي والالهام .. ما بالك بالخطب التي يتلونها منذ عشرين عاما كالببغاوات يكرر كل منهم ما قاله سلفه حتى ليخيل إلى أن كلا منهم يتلو ما كتب دون أن يفهم له معنى ، فهو يتلوه لمجرد التلاوة .. إذ يعتبر أن واجبه قد انتهى عند حد التلاوة ولا أكثر من هذا ـ قصة ميمون الجبل ، مجموعة «ياأمة ضحكت » ويسخر السباعي في القصة نفسها من مجلس النواب ويطلق عليه مجلس النوام .. ويسخر أيضا من الشخصيات الكبيرة ويقول إنهم أسماء كبيرة وليسوا رجالا كبارا « فكبار الرجال يندر وجودهم في هذا البلد » .

والفساد المتفشى في رجال الحكم الذين يلعبون لعبة الحكم الفاسدة « هذه اللعبة ، لعبة الحكم والحكام ، وما ينتج ذلك من انتخابات وبرلمانات واحزاب وسياسة ، هى شر ما ابتليت به مصر » .

ويندد بالأحزاب التى تنادى للوصول إلى الحكم ليكون وسيلة «لرخاء هذه السياسة المسماة الأحزاب ، أما رخاء الشعب وقيادته وإصلاحه والنهوض به فتلك أشياء ، قد لا تأتى فى أذهان الحاكمين إلا عرضا أو لا تأتى أبدا » ما أحوجنا إلى مثل هذه النصيحة الآن بعد عودة الأحزاب ، ولا يترك السباعى الأمر هكذا ولكنه يقترح حكومة جديدة يقودها أناس جدد أنقياء لم تتلوث نفوسهم حتى يستطيعوا أن يخدموا البلد « يجب أن نضع فى الحكم فعلا ، رجالا لم تلوثهم الأيام ولم تلقنهم أصول التهريج ، ونفرض عليهم تنفيذ مشروعات معينة فى مدة معينة .. على أن يقوموا فى كل عام بتنفيذ للجزء الذى يجب تنفيذه خلال هذا العام ـ ويقودوا نهضة البلاد فى جميع الشئون : اقتصادية ، زراعية وصناعية وعسكرية يعملون فى صمت وسكون ، ويدعون الصياح والضجيج للأيتام بشئون الشعب بدلا من تلك الحكومة التى تترك المؤسسات والشركات تعبث بمصالح الناس ، فإذا لم تكن حكومة فوضى فى أمة فوضى ما تركت مثلا الشركة المشرفة على النقل تعبث بمصالح الناس .. فلا تضع فى خطوطها إلا عددا ضئيلا من العربات لا يفى بحاجة الجمهور الذى يحشر فيها كالسردين والشركة تترك السائقين ليتحكموا فى عباد الله .. فلا يقفون إلا عندما يشاءون » .

وكما كشف بصراحة عن فساد الحكم طالب بصراحة بالعدالة الاجتماعية لينعم المسكين بحياة كريمة تنقذه من برآثن الثالوث : الفقر والجهل والمرض .. يطالب السباعى بالعدالة الاجتماعية لهؤلاء

الذين يقطنون الحظائر ويبيتون على الطوى ويشربون مع البهائم من ماء الترع .. » إن الهياكل التى هزلت من الفقر والجوع والحرمان .. والأجسام التى حطمها المرض وانهكتها العلل .. لا تملك من أمر نفسها شيئا .. إنها بلا حول ولا قوة .. إنها قطيع يسير إلى مصيدة التعس فى رضا واستسلام » ونجده يؤكد هذا فى قصة ميمون الجبل (مجموعة يا أمة ضحكت) فيشرح أحوال البلد على لسان صاحب القرد عندما رأى تمرد قرده على حياته التى لم تتغير منذ أربع سنوات « فما بالك بالفلاحة نفسها التى مضى عليها عشرات الأعوام وهى لا تجد ذلك العجين الذى يقلدها فى عجنه .. ما باك بالفلاح الذى قضى مئات الأعوام وهو لا يجد ما يشربه سوى الماء العكر المخلوط بكل ما فى جعبة عزرائيل من أمراض وجراثيم » .

إن إحساس السباعى بآلام الإنسان إحساس قوى وصادق ، لقد طالب السباعى باستمرار الشعب بشوعين مهمين : لقمة العيش والحرية .. ولكى يتحقق ما يريد طالب الأغنياء بأن يتنازلوا عن جزء من ثرواتهم .. يدعوهم إلى أن يجربوا الحياة فى عشش الترجمان وزينهم .» يجب أن يجرب رئيس الوزراء والوزراء وغيرهم من العظماء والأثرياء كيف يمكن لإنسان أن يعيش هو وأسرته بأربعة جنيهات فى الشهر .. يجب أن يقطنوا فى عشة من عشش الترجمان وزينهم .. إيجارهم خمسون قرشا .. يجب أن يجربوا كيف يمكن أن يأكل الإنسان لحمة مرة واحدة فى الشهر ، لحمة لا تزيد على الفشش

والأزوار والكرش التى تباع فى المدبح .. كيف يمكن لأربعة جنيهات أن تكفى حالة عائلة .. يجب أن يصوموا عن الغنى والنعيم .. لا إلى الأبد .. ولكن يصومون لمدة شهر واحد حتى يحسوا ذلك البؤس الذى لا يخطر لهم على بال .. أجل لن تنصلح الأمة .. إلا إذا سن فيها قانون الصيام ، الصيام عن الغنى والنعيم ..

دعوة صريحة للأغنياء لمشاركة الفقراء آلامهم وأن يجربوا الصيام شهرا واحدا .. دعوة تنبع من التعاليم الإسلامية عن فلسفة الصيام الذى سنه الله سبحانه وتعالى هو الإحساس بما يحس به الفقراء من جوع وحرمان .. لقد وقف السباعى دائما بجانب المحتاجين ولقد كان يطبق ما كان ينادى به فى أعماله الأدبية فلم يكن يقول كلاما لا يؤمن به ، إنه وقف بجانب الكثير من الناس فى أزماتهم ومد يد المساعدة لكثير من المحتاجين من جيبه الخاص ولهذا كانت كتاباته تصدر من قلبه لأنه يؤمن بها إيمانا عميقا ولهذا تصل إلى قلب المتلقى مباشرة ويكتب لها الخلود لأنها تعالج مشاكل تتجدد فى كل عصر بصور مختلفة .. فالمطالبة بالعدالة الاجتماعية لا تنتهى ، والمطالبة بالحرية لا تنتهى والمطالبة بكتاب أحرار يخدمون كلمتهم بشرف لا تنتهى أيضا ، لأنه يؤمن بأن رجال الفكر هم نبض الأمة ، هم ضمير الشعب ، فلابد أن يكون ضميرهم نقيا حتى يكونوا عيونه التى ترى ، فيرشدونه إلى الطريق الحق ويكشفون له أى زيف أو خديعة . يطالب السباعى رجال الفكر ألا يتاجروا بأقلامهم حتى لا يصبحوا باعة كلمات وتجار أفكار تستأجرهم الجرائد لقاء أجر شهرى فيوردون لها

المقالات بكميات معروفة فى مواعيد منتظمة كأنهم متعهدو لحوم وخضار .. يكتبون لمجرد ملء الفراغ وسد الخانة .. إن الكاتب لا يكتب حين تنضج فى رأسه فكرة أو حين ينزل عليه وحى فهذه أشياء لم يعد لها مكان فى دنيا الروتين » ويؤكد على هذه الفكرة فى قصة « بصقة على دنياكم » (مجموعة يا أمة ضحكت) فبطل القصة يواجه نفسه بصراحة وهو على فراش الموت ويكشف حقيقة نفسه .. كيف خدع الشعب وتخلى عن مطالبه عندما وصل إلى كرسى الحكم .. لقد جرب أن يكون كاتبا .. فماذا كان ؟ لقد أصبح كما يقول هو نفسه «بائع كلمات ، وعلى قدر ما يدفعون لى أكتب لهم .. ولست أشك أن بائع الترمس خير منى وأفضل فهو يبيع شيئا ملموسا يحس به الناس جميعا بين ضروسهم وفى أمعائهم .. أنما أنا أبيع لا شيء .. أبيع كلمات بعد لحظات ستذهب مع الريح فهذا بلد لا تجدى فيه الكلمات نفعا ... إنما تجدى فيه العصى والسياط) ويفكر بطل أرض النفاق « بعد ذلك فى استخدام شجاعته استخداما حسنا ففكر أن يستخدمها فى الدفاع عن فلسطين لأنه أحس بأنها فى حاجة إليه وإلى أمثاله من الشجعان المخلصين .. ماذا فعل العويل والصراخ .. إن الانذال يسبون نساءكم ويذبحون أطفالكم وأنتم تجتمعون وتنفضون وترحلون ، ثم تتشدقون بعد ذلك بشجاعة العرب يا أشباه الرجال .. ولا رجال ؟ . » كلمات جريئة قالها السباعى ١٩٤٩ فى مواجهة الحكام العرب وما أحوجنا لها اليوم لنتدبر أمورنا فى مواجهة العدو الإسرائيلى الذى ينتهز فرصة اختلافنا فيضرب ويقتل الفلسطينيين ..

لقد دافع السباعى عن القضية الفلسطينية فى كتاباته فى المؤتمرات الدولية ولكن أعمت الخيانة والغدر عيون المتآمرين عن هذه الحقيقة فاغتالوه غدرا ، إن هذه الكلمات ستظل ماثلة أمامنا باستمرار لأن الوضع بالنسبة للقضية الفلسطينية كما هو منذ عام ١٩٤٠ .

لقد تناول يوسف السباعى فى هذه الرواية قضايا مختلفة : الإنسان .. والعدالة الاجتماعية والحرية وبجانبها قضية فلسطين ويرى أن الحل لكل هذه القضايا أن نتخلص من النفاق .. أن نواجه أنفسنا بصراحة حتى نتبين ما حولنا .. أنه يدفع بالإنسان إلى التفكير فيما حوله ثم يتحرك لتغيير واقعه السىء .

إن السباعى كان ضمير الشعب الحى الذى يحس بآلامه وبما يعانيه ولذلك عبر عنها فى جميع أعماله .. كان يبصر الشعب بطريقه وما يجب أن يفعله للخلاص من الظلم ، لأنه كان يمتلك الرؤية الواضحة التى تجعله يستشرف المستقبل ولا يغرق مع الأحداث ، تجعله متفائلا ولا يقع فريسة للتشاؤم .. وهذه القضايا التى عالجها إن كانت تهم الإنسان المصرى أولا فهى قضايا الإنسان عامة فى أى مكان ولذلك عندما ترجمت أعماله إلى لغات مختلفة تجاوب معها قارؤها وأحس بها ، فلا توجد أرض بلا نفاق ولا يوجد شعب على هذه الأرض لا يعانى من ظلم ولا يعانى من الفقر والجهل ويناضل من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية . إن التاريخ يعيد نفسه وعجلة الزمن تدور وتتكرر تلك المآسى ، ولهذا ستظل أعمال يوسف السباعى خالدة . نرجع إليها باستمرار .

رواية « كنوز قارون »

صراع للخروج

من مصيدة الوهم إلى الحقيقة

لقد تغيرت بنية الخطاب الروائى فى الشكل فى النصف الثانى من القرن العشرين وبخاصة منذ الستينات تبعا للمتغيرات الاجتماعية والنفسية على الرواية حجما ومضمونا ، فصدرت روايات صغيرة الحجم يبلغ عدد كلماتها ١١,٠٠٠ كلمة او أكثر .

وقد أدى هذا إلى التركيز والتكثيف مما يقرب الرواية من الأسلوب الشعرى ، ويتطلب هذا من المبدع الاستعانة بكل الأساليب المختلفة من الفنون الأخرى : السينمائية والتشكيلية ليتمكن من توصيل أفكاره للمتلقى بهذا الشكل المركز .

وهذا التغير فى بنية الخطاب الروائى وحجمه جاء انعاكسا لتغير إيقاع المجتمع الذى اتسم بالسرعة والتوتر والقلق وفقدان إنسانه الصبر على قراءة الأعمال الإبداعية الكبيرة .. وهذا التغير فى الرواية حدث لأن الرواية تعبير عن هذه الحياة ولأنها بنية حية تزخر بكل ما تمثله البنية الحية ، من تشكيل ملتحم التحاما عضويا بمادته وبوظيفته الفاعلة المؤثرة وهو معلوم للواقع وإن يكن قيمة مضافة إلى هذا الواقع نفسه سلبا أو ايجابا ، وإنه يوضح بنية بيولوجية التكوين النفسى اجتماعية التخلق .

فالصلة بين الرواية والواقع فاعلة قوية .. الواقع الذى نتحدث عنه هو واقع ينشأ من التفاعل بين الحوادث المعيشة والتجربة الداخلية .. ينشأ من التفاعل بين الإنسان والعالم الذى يحيط به .

ولذا كان تأثر الخطاب الروائى يتأثر بما وصل إليه العصر وما يتطور إليه من وسائل وأجهزة وأدوات تكنولوجية وبما يحتدم ويتصارع فيه من قضايا ومفاهيم ومشاكل وقيم وعلاقات قوى اجتماعية وعالمية.

لقد استوعب كثير من المبدعين هذا التغير وتجلى فى إنتاجهم الروائى فكانت روايات نجيب محفوظ بعد الثلاثية ، ورواية « تلك الرائحة» لصنع الله إبراهيم ورواية « الجد » لفؤاد قنديل ورواية « كنوز قارون » لفوزى صالح التى صدرت حديثا وموضوع دراستنا هذه .

وفوزى صالح شاعر وكاتب قصة ورواية ، وله جرأة على التجريب وصولا إلى الأفضل وهذه الجرأة تنبعث من امتلاكه لأدواته الفنية والثقافية التى ينميها باستمرار .. لقد استطاع فوزى صالح أن يستفيد من أدوات الشعر فى القصة القصيرة والرواية .. فقصصه القصيرة مركزة ومكثفة وشاعرية الأسلوب وكثيرا ما نجد جملا موزونة ، ورواياته أيضا جاءت مستفيدة . من أدوات الشعر الفنية ومن أساليب الفنون الأخرى .. وروايته « كنوز قارون » صورة لهذا التركيز والتكثيف لقد بلغت كلماتها حوالى ١١,٠٠٠ كلمة . ونود أن نشير إلى أن الكاتب استطاع أن يخرج من مأزق طغيان الشاعرية على القص

بمحافظته على التوازن الفنى حتى لا يطغى عنصر على عنصر . والسؤال هل استطاع الكاتب أن يعبر عن أفكاره كاملة فى هذا الحجم الصغير ؟

الرواية رغم صغر حجمها الذى يخرج بها عن المفهوم التقليدى للرواية المتعارف عليه والتى تبلغ أحيانا أجزاء متعددة .. استطاع كاتبها فى كلماتها الـ ١١,٠٠٠ كلمه أن يقول ما يريده فى القصة المطروحة .. فالرواية تستوعب القضية الكبيرة التى لا تهم فردا ولكنها تهم أمة بأكملها .. وتستوعب عالما بأكمله .. بمشاكله .. وتناقضاته هذه التناقضات التى تتولد منها البنية الروائية المركبة المعقدة ومنها أيضا يتولد الفعل الدرامى الذى لم يتولد من الصراع بين الشخصيات ، بل يتولد الفعل الدرامى من تناقض الأحداث .

فى كنوز قارون لا توجد شخصيات تتصارع ليتولد من هذا الصراع كما قلنا الفعل الدرامى ولا لتتولد منها بنية روائية مركبة ولكن توجد قضية عامة يطرحها الكاتب ويتحرك بها فى الأمكنة المختلفة والأزمنة المختلفة أيضا ليبين مدى قرب وبعد المجتمع من هذه القضية ومدى استيعاب العقل الجمعى لهذه القضية وقدرته على التصرف للخروج من المآزق الذى وضعه فيه الكاتب .. وهو الخروج من أزمته النفسية والاجتماعية .. وقدراته على الخروج من دوامة البحث عن كنوز قارون التى ستحل أزمته الاقتصادية الضاغطة .. قدرته على الخروج من الوهم الذى فرض عليه ، وفرض عليه تصديقه أيضا ليتلهى بوهم الحصول على كنوز قارون عن الواقع المر الذى يطحنه ..

الفعل الدرامى لا يأتى من صراع الشخصيات كما تعودنا ولكنه يأتى من تحرك الجموع المسلوبة الإرادة داخل هذا الوهم .. أى داخل هذه اللعبة الخادعة لأحلام هذه الجموع .

فالرواية تقوم على محورين : المحور الأول قوى مستغلة مستفيدة تملك كل شئ حتى القرار وقوى مستغلة لا تملك شيئا وبينها لعبة وهمية يلعبها هؤلاء المستغلون عندما يشعرون بخطوة هذه الجموع المطوحنة .

الفعل الدرامى فى هذه الرواية يأتى من المخالفة بين الحلم والواقع .. من بين الرغبة فى تحقيق الحلم لحل المشاكل الاجتماعية وبين فشل هذا الحلم .. من اكتشاف الحقيقة المدفونة فى ثنايا الوهم الذى روج له المستفيدون ومالكو القرار . والسؤال كيف استطاع الكاتب أن يوصل هذا المضمون الكبير ؟ لقد لجا الكاتب إلى أساليب مختلفة لصياغة بنية الرواية ولتوصيل المضمون للمتلقى :

١ - استخدم الكاتب الآيات القرآنية التى صدر بها الفصول الروائية التى تبدو للوهلة الأولى انها مقدمة منفصلة عن الفصل المصدر بها .

ولكن هذه المقدمات القرآنية اعتمد الكاتب أساسا على الترابط العضوى النفسى والإيحاء بوحدوية المضمون ، فهذه الآيات مرتبطة ارتباطا نفسيا بمضمون الفصل ، بمعنى أنه عندما يصدر الفصل الأول، بالآيات القرآنية التى تتحدث عن كنوز قارون يستغنى بذلك عن السرد الطويل لقصة قارون وما حدث له نتيجة طغيانه ، فالكاتب يضعنا

مباشرة أمام القضية الأساسية التى عنون بها الرواية « كنوز قارون » بالأداء القرآنى وما فيه من تركيز وتكثيف . فالترابط بين العنوان والآيات القرآنية التى صدر بها الفصل الأول ترابط معنى يفهم من سياق الكلام .

وكذلك فى الفصل الثانى المعنون « بالخروج » يورد الكاتب الآيات القرآنية الدالة على معنى الخروج ليعيش المتلقى فى الجو النفسى للأحداث القادمة وما سيترتب عليها .

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾ [سورة الزخرف] .

ـ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [سورة سبأ]

ـ ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٩) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة الزمر]

ـ ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الذاريات]

فى هذه الآيات أشار الكاتب رمزا إلى الكنوز والذين يملكونها

وبين أيضا عاقبة الذين يصدقون طائعين خائفين هؤلاء الفراعنة المتجبرين وبين جزاء من ينكر نعمة ربه ويدعى أنها ليست من عند الله .

من هذه التركيبة التضمينية للآيات مع الأحداث التى يوردها نبين أن هناك خيطا نفسيا يربط بين المقدمات القرآنية وبين أحداث كل فصل ..

٢ ـ التقارير والخرائط والهوامش التى تضمنتها الرواية ووظفها الكاتب توظيفا فنيا يدخلها فى نسيج العمل الفنى دون خلل ظاهر ، وقيمة هذه التقارير أنها ترسخ فى ذهن المتلقى واقعية الأحداث وصدقها وأنها تحذير علمى للقضية يلقى بعض الأضواء عليها .. وهذا يساعد الكاتب أيضا على الإيجاز والرمز بما لا يستطيع أن يفصح عنه اللسا ن .

٣ ـ الحكيات الشعبية والأساطير وارتباطها بذاكرة الشعوب وما لها من دلالات نفسية أيضا فإنها تعبير صريح أو رمزى تلجا إليه الشعوب كمعادل موضوعى تعبر من خلاله عن رأيها تجاه الأحداث التى تمر بها .. مثل حدوته الديك الذى يظهر فى منتصف الليل ومن يقتله يحصل على الكنز المخبأ تحته .

٤ ـ واستخدام التقطيع فى المشاهد أعطى للكاتب حرية الانتقال مكانيا وزمانيا ، ومزج الماضى بالحاضر ليلم أطراف القضية كلها وذكر بعض التفاصيل الصغيرة ليدلل بها على الفساد الاجتماعى الذى استشرى فى المجتمع .. هذا الفساد الذى يريد المستفيدون أن

يصرفوا الناس عنه بهذه القصة القرآنية ولكن الوصول لتحقيقها وهم وعبث .

٥ ـ أما اللغة في هذه الرواية فهي مشكلة لأنها جاءت في مستويات مختلفة : التقارير الصحفية ، الأبحاث العلمية ، التقارير السياسية ، الوصف ، وهذا كله يتطلب حساسية خاصة في استخدم اللغة حتى لا يبدو التفاوت في مستويات استخدامها .. ولكن الكاتب كان واعيا لهذا تماما فجاءت لغته الوصفية متقاربة بصورة أذابت هذا التفاوت اللغوى في الرواية . إن هذه الرواية تقوم أساسا على التاثير النفسى الذى يمارسه المستغلون على العقل الجمعى وتجعله منقادا لا إراديا لتنفيذ ما يطلب منه وعند هذه النقطة تمد مخالبها كما جاء في ختام الرواية « تمد مخالبها الشوكية في تجاديف التضاريس الخربة .. تنتفخ بطون وتنز من مسامات العرق النتن برك الصديد حتى إذا ما انكشفت العظام لمعت أسنة المناشير الحادة .

ولكن الكاتب ينهى روايته بأن هذه الجموع لابد أن تستيقظ يوما من هذا الوهم المخدر بقوله : « رأيتها خضراء تزرع الأمان في النفوس، سواعد تلوح خلفها المطر ، يرخ .. يبعث الثرى من بعد موته وجوه مسفرة ضاحكة مستبشرة بها يعتدل الميزان وتدور العجلة ثانية للأمام واثقة مطمئنة ماحقه سنين الخراب » .

وعندئذ تتهتك ستر الوهم .. وتنكشف الحقيقة .. وهذا ما توحى به هذه الرواية .

البحث عن الانتماء

فى رواية « البحث عن الجذور »

تتناول الكاتبة مؤمنة أبو صالح فى روايتها الجديدة « البحث عن الجذور » التى صدرت حديثا بالسعودية قضية مهمة هى وضع الأبناء الذين نشأوا فى المهجر وما يعانونه من انفصام فى الشخصية ، وعدم إحساسهم بالانتماء ، فهم حائرون إلى أى وطن ينتمون هل إلى وطنهم الأم ، وطن الأب ، أم إلى الوطن الجديد وطن الأم ؟ وأى دين يعتنقون ، هل يعتنقون الدين المسيحى أم الدين الإسلامى ؟ إنه إحساس بالتمزق يلقيهم فى أتون الضياع .

جسدت الكاتبة هذه المأساة فى شخصية بطل الرواية « جوزيف » كما أسمته أمه الأمريكية ، ولأن جوزيف شخصية مغايرة لأترابه كما قدمته الكاتبة منذ اللحظة الأولى بأنه شاب ذو عقلية متفتحة ، مدرك لمأساته .. ويتفجر فى داخله السؤال عن والده الذى لم يره منذ ولادته، نراه يحاول تغيير نفسه ، وواقعه المتمردعليه ، ولذا آلح على والدته كثيرا بالسؤال عن والده ، هل كان يحب كل منهما الآخر ؟ ما سبب الخلاف بينهما ، لم تبخل عليه بالإجابة عن أسئلته ، فأخبرته بأنهما تزوجا عن حب ، ثم عرفت فيه العناد والتمسك بدينه الإسلامى، وعادات وتقاليد قومه العرب ، فمنعنى من الرقص وشرب الخمر ، وكان يرفض الانفراد بى قبل الزواج تبعا للتعاليم الإسلامية فقال « أنا مسلم ولا أستطيع أن أجالس فتاة غريبة عنى بمفردنا ، فقلت له : لن أخبر أحدا ، قال : إن الذى أخافه هو الله .. وكانت هذه المرة

الأولى التى أسمعه يقول الله ، فسألته عن الله فأجابها God ، فقالت إن الله يحب الحب فقال : الحب يجب أن يكون مشروعا ، أنا أحبك ياإيلين ، ولا يجوز أن أعلن حبى إلا إذا تزوجتك » .

لم تهتم إيلين بدين زوجها وتعاليمه مثل بقية الأمريكيين ؛ فالدين لا يمثل لهم شيئا ، فهم لا يؤمنون إلا بالإنسان والمصالح المادية ، كل ما اهتمت به هو أن تعيش عيشة قومها ، وأن تجذب أحمد » زوجها إلى حياتها ، ولما اصطدمت بعناده ، واعتزازه بنفسه ، ورفضه الانصياع لنصائحها ويقدم التنازلات ولسبب آخر مهم وهو إخبارها بأن ابنه » يجب أن يرى جديه وأعمامه وعماته ويجب أن يتعلم العربية ، فرفضت ذلك رفضا مقنعا قائلة » إن الحديث سابق لأوانه » فدب بينهما الخلاف ، وليس الخلاف خلافا سطحيا ، ولكنه خلاف جذرى ، ليس خلافا بين شخصين ، ولكنه خلاف بين حضارتين . .

لجأت إيلين إلى حيلة للاحتفاظ بابنها ، فغرست فى أحمد الشك فى بنويته إليه ، وأخبرته أنه ليس ابنه ، كما غرست فى ابنها جوزيف » الشك تجاه والده فلم يحتمل الزوج ما قالته ، فهجرها وساح فى البلاد ، وكذلك فعل جوزيف للبحث عن الحقيقة .

لم يشأ جوزيف » أن يعيش عيشة الشباب أمثاله من استهتار وضياع فهم يعيشون بلا وطن ، ولا دين ، ولا أسرة ، ذابوا فى الحياة

الجديدة الخاوية المبهرة ، الآلاف غيرى يعيشون بلا أب ، شىء سائغ فى أمريكا ، وحتى عندما كنت أحادث أصدقائى المقربين عن مشكلة أمى كانوا يسخرون منى ويقولون : لِمَ تهتم ؟ عش حياتك يارجل ، لم أستطع ، وكان هناك شىء بداخلى يدفعنى إلى البحث عن حقيقة أبى ، والبحث عن جذورى ، شىء يسرى فى دمائى ، شىء مختلف عن الذين حولى ، مختلف عما ربتنى عليه أمى » .

بهذه الكلمات رسمت الكاتبة شخصية جوزيف ، بأنه إنسان يمتلك إرادة التفكير بعقله الناضج ، لم تسحقه أزمته مثل أصدقائه الضائعين فى شوارع أمريكا .

ظل أحمد يحمل فى أعماقه أسئلته احتراما لمرض أمه ، ولما توفيتْ استيقظت الأسئلة ثانية ، فحزم أمره على أن يبحث عن والده ، عن جذوره ، عن انتمائه الحقيقى .

أخذ جوزيف يتنقل من ولاية إلى ولاية فى أمريكا ، ودليله فى رحلته خطاب من أحد أصدقاء والده ، وفى أحد المساجد يلتقى بأحد المسلمين ، ويتعارفان ، وأخبر جوزيف صديقه بحكايته ، فأخبره صديقه أن طريق الوصول إلى والده هو طريق الإسلام ، فقال : جوزيف « إنى لا أبحث عن الإسلام ، إنى أبحث عن أبى ، نظر لى نظرة طويلة ثم أردف ، إن بحثك عن أبيك هو بحثك عن الإسلام ، أنت بحاجة إلى معرفة الإسلام لكى تصل لأبيك » .

وقرأ جوزيف عن الإسلام ، فاقتنع به ، فأعلن إسلامه وسمى « يوسف » ، وبعد عناء وجهد وصل إلى طريق والده بمساعدة أحد معارفه

القدامى ، ويلتقيان ، ويدور بينهما حديث طويل عن موت أمه ، واعتناقه الإسلام فيخبره الأب بأن اعتناق الإسلام دون سلوك إيمانى عميق لا يجدى ، الإيمان الحقيقى أن تفعل ما يمليه عليك إيمانك ، فالإيمان التزام بالمبادئ الإسلامية « أن تصلى مثلا ، وليست الصلاة وحدها .. إنه التزام بالإسلام فى كل نواحى الحياة .. اسمع لمَ لا تنتهز الفرصة وتقرأ القرآن »

أرشده والده إلى جوهر الإسلام ، فعلى ، المسلم أن يعمل لصالح المسلمين ، والتواصل مع القرآن ، ويلفت نظره إلى أن الإسلام أهم من أى شيء فى الدنيا ، فهم يوسف الدرس الذى لقنه إياه صديقه الذى أخبره أن الإسلام هو طريق والده ، ولا ينفصل كل منهما عن الآخر ، فقال لوالده : « لا أستطيع أن أفصل بينكما - أريد أن أصارحك ، لقد ربتنى أمى على كراهيتك » .

لقد وجهت الكاتبة يوسف « إلى الطريق الصحيح بكلمات صديقه » إن طريق الإسلام هو طريق الوصول إلى والده » فنشير أيضا إلى أمرين :

الأول : كشف هدف الأم وهو غرس الكراهية ضد والده ، هى فى الوقت نفسه غرس الكراهية ضد الإسلام وجذوره العربية .

والثانى : تحفيز الابن للبحث عن الأب الذى يمثل الطريق الصحيح .

لقد عمق الأب فى ابنه حب الدين الإسلامى ، وعلمه أن رابطة

الدين أقوى من رابطة الدم ، فتنامى عند الابن الإحساس بالإسلام ، فيطلب من والده أن يعلمه الصلاة ، ويقول له « إنى مؤمن منذ زمن ، إن وراء عظمة هذا الكون خالقا واحدا .. وأعتقد أنى وصلت إلى معرفته ، قد لا أكون نجحت مع أبى ولكنى نجحت مع نفسى .. فأنا أشعر الآن أنى أقل حيرة .. وأكثر تماسكا ، وأنى يوسف أكثر من جوزيف ، وهذا يسعدنى كثيرا » .

فهذه الرحلة التى قطعها يوسف هى رحلة البحث عن الإيمان الحقيقى الذى اهتدى إليه بنفسه ، بإعمال عقله ، وقراءة كتاب الكون ، فتشرب قلبه الإيمان وحب الله ، ولذا نرى الأب يكتم عاطفته تجاه ابنه ، ليكمل رحلته ، فكانت كلمات والده عند الفراق « إن لم يجمعنا دم واحد فقد جمعنا رباط قوى .. الإسلام .. فأنت أخ فى الدين ، وأتمنى لك الخير والتوفيق دائما وأبدا » .

وهذا استيحاء من قول الله سبحانه وتعالى لسيدنا نوح ليبين له أن رباط الدين أقوى من رباط الدم فى الاية الكريمة ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) ﴾ هود ٤٥ ، ٤٦) ، وجاء أيضا فى الحديث الشريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا قرابة بينى وبين أبى لهب » . ويودع يوسف أباه ، ليواصل رحلة الإيمان إلى أعمامه وعماته فى وطن أبيه وأجداده ، أحس يوسف معهم بدفء العاطفة وخليط عجيب من البشر ، بهم دفء وعاطفة لم أر مثيلا له من قبل ، إذا

تحدثوا عن أبى تدمع العيون .. وإذا تكلموا عنى ابتسموا .. مشاعر صادقة .. عواطف مميزة .. شىء مختلف عما تعودته .. سامحك الله يا أبى حرمتنى من كل هذا الحب » ، وعبرّ عن مشاعره تجاه هذا الحب بقوله « أنا أشعر بالفخر أنى أنتمى لكم وإنى مسلم ، وأنتم جميعا مسلمون فمنذ أسلمت بدأت أشعر بالغربة فى أمريكا مع أنها موطنى » .

وهنا نرى أن يوسف قد تغير تماما من الداخل ، وتدرج فى مسالك الإيمان إلى الإيمان الذى وقر فى القلب ، وتطهر من أدران المجتمع الذى يعيش فيه ومن سلبيات الحضارة الأمريكية الفاسدة ، [أصبح يوسف رمزا يهتدى به ، فتحول إلى داعية ضد أمريكا وحياتها يبين لأهله الفرق بين الحضارة الإسلامية الروحانية ومن الحضارة الأمريكية المادية التى « لم تستطع أن تخلق ماضيا عريقا لها ... ليس هناك جذور حضارية ، بل قشور صنعتها التكولوجيا الحديثة .. أما هنا فعبق الدم ينبض بالحضارة الأصلية ، هنا الإنسان بدأ من الصفر . وارتقت البشرية .. كل شبر من أرضكم يتكلم عن بطولات وأمجاد سالفة .. ثم أتى الإسلام ليتوجكم خير أمة أخرجت للناس ، وهذا مبعث فخرى، لقد اختبرت الحضارتين وبدأت أشعر باهتزاز الثقة بحضارة الغرب .. رغم أنى ولدت هناك ونشأت .. ولكن ليس هناك روح .. روح الأشياء أهم من جمودها » ويوضح يوسف آثار الحرية المطلقة المدمرة للإنسان فى أمريكا دينيا واجتماعيا وخلقيا ،

فالجميع ينغمسون فى الملذات ، والمكاسب المادية « تحت شعار أنه يمارس حريته الشخصية ، فشاعت الفوضى فى المجتمع وانهارت قيم ومبادئ كثيرة ، لذا الحرية يجب أن تحدها ضوابط ولا تكون مطلقة أبدا» .

بهذه الكلمات أزال يوسف عن عيون أهله غشاوة الانبهار بأمريكا، وصدقوه كشاهد عيان ، وكذلك صدقته ابنة عمه « سلمى » التى شكت فى سبب مجيئه فى أول الأمر ، وازدادت تصديقا عندما حدثها عن سبب مجيئه الحقيقى وهو البحث عن جذوره ، وهذا أفضل من المال أو الجاه، فقالت له كلمات والده له « لو لم تجمعنا روابط الدم .. فأنت أخ لى فى الإسلام » .

عاد يوسف إلى أمريكا ، يحمل بين جنبيه حبه لابنة عمه ، واقتناعه بوطنه الجديد ، وطن له تاريخ ، له طعم ولون ، تحكمه مبادئ سامية تجمع بين الناس ، وهى رابطة الإسلام وتجعلهم جميعا إخوة .

أصبح يوسف إنسانا آخر بعد عودته من زيارة أهله ، أصبح شخصية إيجابية فاعلة فى المجتمع الأمريكى و أصبح داعية للإسلام ، ويسعد به والده ، ويعترف أخيرا ببنوته بعد ما تأكد أنه اهتدى بحق إلى الطريق المستقيم ، ويصل خطاب من سلمى تخبر عمها فيه بقبولها الزواج من يوسف والعيش معه فى أمريكا . وبذلك استطاع يوسف أن يهتدى إلى جذوره فى أرض أبيه وأجداده .

وتنتهى رحلة يوسف للبحث عن الإيمان ، الذى يجب أن يبحث عنه كل إنسان يريد النجاة فى حياته ، ويبحث عن الخلاص .

الجوانب الفنية :

١ - جاءت الرواية فى أسلوب سردى أدبى سلس فصيح معبر عن الحالات النفسية للشخصيات ، مما يثبت قدرة اللغة العربية على التعبير الأدبى ، عكس ما يدعيه أصحاب الدعوة إلى الكتابة باللهجة العامية .

٢ - استخدمت الكاتبة ضمير المتكلم ، فبطل الرواية يقوم بسرد الرواية ، ويقدم نفسه مباشرة بقوله « اسمى جوزيف » وقد أتاح هذا للبطل أن يتحدث عن الشخصيات الأخرى ، والسرد بضمير المتكلم يجعل المتلقى يمزج بين المؤلف والسارد ويصبحان عنده شخصية واحدة ، كما يتميز أيضا ضمير المتكلم بذوبان الفروق الزمنية بين السارد والشخصية ، كما يشعر السرد بضمير المتكلم بواقعية الأحداث . .

٣ - يمثل يوسف الشخصية الرئيسية التى تدور حولها الأحداث ، فهى تحركها ، وتنميها ، ويوسف شخصية متطورة ، تؤثر فيما حولها من شخصيات ثانوية وتتأثر بها وتتفاعل معها .

الفهرس

الصفحة

التعريف

- الاسم / إبراهيم سعفان
- ناقد وقاص

الحياة العملية

- مدير تحرير مجلة الثقافة الشهرية والثقافة الأسبوعية الصادرتين عن الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة .
- عمل مدير تحرير لمجلة المنتدى بدبى .
- عضو لجنة القصة بالمجالس القومية المتخصصة بالقاهرة سابقا .
- عضو لجنة النشر بالهيئة العامة للكتاب بالقاهرة .
- عضو لجنة التحكيم بمسابقات نادى القصة بالقاهرة . .
- عضو لجنة التحكيم بمسابقات اتحاد الكتاب بالإمارات .
- عضو لجنة التحكيم بمسابقات شرطة دبى للقصة القصيرة .
- عضو اتحادالكتاب بمصر .
- عضو نادى القصة .
- عضو رابطة الأدب الإسلامى العالمية .
- مؤسس جمعية زهراء حلوان الأدبية بالقاهرة .
- شاركت فى عدد من المهرجانات الأدبية بالبلاد العربية .
- شاركت فى ندوات تليفزيونية وإذاعية حول الأدب والنقد عن الأدب الإسلامى بالرياض والشارقة والقاهرة .

الإنتاج الأدبى :

١ - **هدم اللغة العربية لماذا ؟** (١٩٧٢ - دار آتون بالقاهرة - طبعة أولى) .

٢ - **نقد تطبيقى** (١٩٧٥ - المجلس الأعلى للفنون والآداب بالقاهرة - طبعة أولى) .

٣ - **نظرات نقدية** (دراسة فى القصة القصيرة والرواية ، ١٩٨٥ - الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة طبعة أولى) .

٤ - أثر أكتوبر فى الشعر المصرى (١٩٨٦ - المركز القومى للفنون والآداب بالقاهرة - طبعة أولى) .

٥ - **القناع** (مجموعة قصص - ١٩٨٨ - مطابع مؤسسة البيان بدبى - طبعة أولى) .

٦ - **أزمة الفكر العربى** (١٩٩٤ - اتحاد كتاب وأدباء الإمارات - طبعة أولى) .

٧ - **أوراق فى الأدب والنقد** (١٩٩٥ - الهيئة العامة للكتاب - بالقاهرة طبعة أولى) .

٨ - **قبل أن تنطفئ النار** (مجموعة قصص - ١٩٩٨ - الشركة العربية للنشر والتوزيع القاهرة - طبعة أولى) .

٩ - **فضاء الجرح** : دراسات فى أدب الحرب - دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة - ٢٠٠١ .

- **كتب صدرت عنى :**

- ملف أعدته مجلة القصة التى يصدرها نادى القصة بالقاهرة (العدد ٧٢ - أبريل ١٩٩٣ م) .
ويشتمل على نماذج من أعمالى النقدية والقصصية والدراسات التى كتبت عن أعمالى .

- إبراهيم سعفان مبدعا وناقدا (بقلم مجموعة من المؤلفين) إعداد د. حسين على محمد (سلسلة أصوات - العدد ٥٦ أغسطس عام ٢٠٠٠ م) .

العنوان البريدى :

- القاهرة - فيلا ٣٨ شارع ٣٧ - وادى حوف - جمهورية مصر العربية .

•• صدر من هذه السلسلة .

١ ـ آلام صغيرة وقصص أخرى ـ الفائزون فى مسابقة القصة القصيرة عام ١٩٩٨ .
٢ ـ يوميات عروبة ـ د . هانى الرفاعى .
٣ ـ ما رواه البحراوى ـ عبد الرحمن شلش .
٤ ـ أبناء نادى القصة ـ محمد محمود عبدالرازق .
٥ ـ زوجتى لا تريد أن تتزوجنى ـ فتحى سلامة .
٦ ـ الحى الراقى ـ فتحى مصطفى .
٧ ـ الياسمين يتفتح ليلا ـ عزت نجم .
٨ ـ حدائق السماء ـ محمد سليمان .
٩ ـ الفائزون بجوائز آخر القرن العشرين ـ الفائزون فى مسابقة القصة القصيرة .
١٠ ـ دلونى على السبيل ـ محمد الشريف .
١١ ـ الجدة حميدة ـ حسن الجوخ .
١٢ ـ فستان زفاف قديم ـ على عيد .
١٣ ـ بحر الزين ـ حسن نور .
١٤ ـ من أوراق العمر ـ محمد كمال محمد .
١٥ ـ إحراج ـ نادية كيلانى .
١٦ ـ البنات ـ هدى جاد .
١٧ ـ عاد الأسد .. أسداً نبيلا ـ عبد المنعم السلاب .
١٨ ـ عراف السيدة الأولى ـ محمد القصبى .
١٩ ـ حكايات عن العربيد ـ صلاح عبد السيد
٢٠ ـ السلمانية ـ صلاح معاطى .
٢١ ـ الفائزون أول القرن الحادى والعشرين ـ الفائزون فى مسابقة القصة القصيرة .
٢٢ ـ صبحى الجيار والمحنة المضيئة ـ مصطفى عبد الوهاب .
٢٣ ـ الرغبة الوحيدة ـ صوفى عبد الله .
٢٤ ـ الغزال فى المصيدة ـ محمود البدرى .
٢٥ ـ خراط البنات ـ صفوت عبد المجيد .
٢٦ ـ القصة القصيرة عند ثروت أباظة وقضايا المجتمع ـ حسين عيد .
٢٧ ـ حوار مع جنيه – عصام الصاوى .
٢٨ – ليلة موت – عبد الحميد الفداوى .
٢٩ – حبيب حبيبى – درويش الزفتاوى .
٣٠ – لقاء غير متوقع – محمد صفوت .
٣١ – التوأم وقصص أخرى – الفائزون فى مسابقة نادى القصة القصيرة .

٣٢ - أكثر من عمر - عبد الفتاح مرسى .
٣٣ - من حياة - رستم كيلانى .
٣٤ - فرحة الأجراس - عبد العال الحمامصى .
٣٥ - أنا .. ونورا .. وماعت - رفقى بدوى .
٣٦ - الليلة الثانية بعد الألف - مختارات من القصة النسائية فى مصر - إعداد وتقديم يوسف الشارونى .
٣٧ - ثلاثية آدم وحواء - عماد الدين عيسى .
٣٨ - الأحلام تتمشى فى الذاكرة - محمد الفارس .
٣٩ - بين الحكى والنقد - نبيل عبد الحميد .
٤٠ - مواسم الشروق - أحمد الشيخ .
٤١ - السقف والناب الأزرق - فؤاد قنديل .
٤٢ - الفائزون فى مسابقة القصة القصيرة لعام ٢٠٠٢ .
٤٣ - خمس سنوات رملية - سمير درويش .
٤٤ - القصة والرواية فى السبعينيات - د. يسرى العزب .
٤٥ - الضوء والظلال - محمد قطب .
٤٦ - عين طفل - د. مرعى مدكور .
٤٧ - فنون روائية - محمود عبد الوهاب .
٤٨ - عطر المشمش - أمين بكير .
٤٩ - أولاد الأفاعى - خليل الجيزاوى .
٥٠ - زوينة - محمد جبريل .
٥١ - التعدد والتباين - أحمد عبد الرازق أبو العلا .
٥٢ - فيل أبيض وحيد - د. محمد حسن عبد الله .
٥٣ - العذاب والصمت - لوسى يعقوب .
٥٤ - عواطف دافئة - وفية خيرى .
٥٥ - احداث منتصف الليل - رأفت سليم .
٥٦ - ظلال وأشخاص - محمد الحديدى .
٥٧ - قراءة فى القصة والرواية - د. جمال عبد الناصر .
٥٨ - الصوت والصدى - يوسف جوهر .
٥٩ - اشلاء بؤرة العشاق - أحمد محمد حميدة .
٦٠ - ثلاث روايات - السيد نجم
٦١ - قانون الحب - سعيد سالم
٦٢ - القصة القصيرة والرواية - إبراهيم سعفان

الإصدار القادم

الوتر المشدود

سمير عبد الفتاح

دار النيل
للنشر والطبع والتوزيع
١٢ شارع عبده بدران
م. الباشا - المنيل - القاهرة
ت : ٣٦٢٢٢٥٧٨

رقم الإيداع لدار الكتب
٢٠٠٦/٨٤٣٥
الترقيم الدولي
I.S.B.N.: 977-432-005-0